حديث المستشرقين الألمان
عن إعجاز القرآن الكريم
وبلاغته في الميزان

د. أحمد أحمد السيد شتيوي
أستاذ مشارك في كلية الآداب
والفنون جامعة حائل
وأستاذ بجامعة الأزهر

د. نوف سالم الشمري
أستاذ مساعد في كلية الآداب
والفنون جامعة حائل

د. أنسام محمد خالد
أستاذ مساعد في كلية الآداب والفنون
جامعة حائل

البحث ممول من عمادة البحث العلمي جامعة حائل

﴿١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م﴾

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

الملخص العربى

هناك كثير من المستشرقين اهتموا بدراسة القرآن الكريم، وكانت لدية جوانب إيجابية قائمة على البحث العلمي المنصف، وفي الجانب الآخر نجد عند بعضه أخطاء علمية فادحة، مما أسفر عن نتائج قد جانبها الصواب، ويرجع ذلك للتعصب الأعمى لمعتقدة، أو كرهه للشرق وكل ما يمت له، أو جهله باللغة العربية، أو غير ذلك.

وتعد جهود المستشرقين الألمان في الآونة الأخيرة من أبرز الجهود التي أنتجها الاستشراق في الدراسات القرآنية؛ نظرا لتركيزهم في المجال العلمي الإنساني ،واهتمام فقهاء اللغة منهم بفصاحة لغة القرآن وجمالياته. واختلفت وجهة نظرتهم حول إعجاز القرآن وبلاغته، فمنهم قال كغيرهم من المستشرقين أنه من كلام البشر يخضع للنقد، وأن معانيه تتسم بالغموض والعمومية، وحكم بغياب الانسجام، وانبرى عدد منهم يدافع عن القرآن، ويفند شبهات السابقين، ويؤكد أن القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل المؤيد للنبي محمد ﷺ، وصار يبحث عن جهات إعجاز القرآن، وقام بتتبعها سواء أكانت من خلال نظمه المكتوب، أم الكون المنظور وما يحتويه، أم غير ذلك.

ويعرض البحث آراء الفريقين ثم القول الفصل في القضية .من خلال الحديث عن مصدر القرآن وإعجاز القرآن، وموقفهم من القراءات القرآنية ، والحديث عن التناسب بين كلمات القرآن وآياته وسوره، والفاصلة القرآنية وعلاقتها بما قبلها مستعينا في ذلك بما كتبه علماء المسلمين.

الملخص الإنجليزى

There are many orientalists interested in the study of the Holy Quran and had a positive aspects based on equitable scientific research, and on the other side, we find some scientific errors are serious, resulting in the results of its right side, due to blind intolerance of the Believers, or hatred of the East and everything that is dead, Or ignorance in Arabic, or otherwise. The efforts of Orientalist Germans in recent times of the most prominent efforts produced by orientalism in the Koranic studies; because of their focus in the field of human sciences, and the attention of German Orientalists of the orientalist language of the Koran and its aesthetics. Their view differed about the miracle of the Koran and his rhetoric, some said like other orientalists It is one of the words of mankind subject to criticism, and its meanings are vague and general, and the rule of the absence of harmony, and a number of them defended the Koran, and rejects the suspicions of the former, and confirms that the Holy Quran the word of God the house of the Lord of Glory, Whether through its systems or the universe and what it contains, or otherwise.

wayaerid albahth ara' alfariqayn thumm alqawl alfasl fi alqadia .min khilal alhadith ean masdar alquran wa'iiejaz alquran , wamawqifuhum min alqara'at alquraniat , walhadith ean alttanasub bayn kalimat alquran wayatih wasurih , walfasilat alquraniat waealaqatuha bima qabliha msteyna fi dhalik bima katabah eulama' almuslimin .

مُقَدِّمَة

أيد الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بمعجزة القرآن الكريم، وتحدى بها العرب الفصحاء ،فعجزوا عن الإتيان بمثله، وأيقنوا أنهم أمام نص فريد في نسجه، وتأليفه، ونظمه، ولم يمنع ذلك بعض المعاندين من معارضة القرآن، وكان من نتاجهم أن سخر منهم أتباعهم.

ولم يقتصر التحدي على العرب وحدهم، بل كان للعموم الناس، وإذا عجز أهل البيان عن مجاراته، فعجز غيرهم أشدُّ وأنْكى.

وراح العلماء بعد العصور الأولى يبحثون عن جهات الإعجاز التي بها امتاز أسلوب القرآن من غيره، وكانت جل أقوالهم أنه معجز من جهة نظمه وتركيبه وبلاغته، فضلا عن الأسلوب المنطقي، والأسلوب العلمي، وامتلاكه أدلة الإقناع والحجاج.

وقام عدد من المستشرقين الألمان بالتشكيك في إعجاز القرآن والطعن فيه، فشككوا في مصدره، وادعوا أنه تلفيق من التوراة والإنجيل، وأنه لفظه مستهلك، ومعانيه غامضة، وأن فواصله تُقحم فيه إقحاما بلا معنى يطلبها، أو غرض يقتضيها، وخلو أسلوبه من التناسب أو الانسجام، إلى آخر تلك الافتراءات والأكاذيب.

وبعد قراءتنا في هذا المجال وجدنا المستشرقين عامة والألمان خاصة يدعون إلى تعلم اللغة العربية ودراسة علومها، وحظيت مكْتباتهم بالعديد من الدراسات والبحوث والتحقيقات للتراث العربي، وألفوا المعاجم المختلفة، فضلا عن مقالاتهم المنشورة في المجلات الدورية المهتمة بدراسة اللغة العربية وعلومها، وقام عدد كبير منهم بتدريس اللغة العربية وعلومها في مصر والعالم العربي.

ورأينا بعض المستشرقين الألمان اتخذ القرآن الكريم مجالا للبحث فدرسه بموضوعية ،ووجدنا الآخرين يشتط في رأيه فيناقش الأمر بتعصب، نافياً عن القرآن أي خصوصية في نصه وطريقة تناوله بالدراسة، ونظرا لاختلاف نظرة المستشرقين الألمان حول إعجاز القرآن الكريم وبلاغته فقد أتاح للبحث مادة ثرية للمناقشة والحكم عليها، من منطلق الحدود العلمية بعيدا عن العصبية أو النتائج المسبقة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- كثرة المستشرقين الألمان الذي تناولوا النص القرآني وإعجازه وبلاغته بالدراسة.

٢- غلبة الروح العلمية والموضوعية على المستشرقين الألمان، فقد تميز معظمهم بجدية البحث، والكتابة عن الإسلام بموضوعية، وتجنيب الغايات الدينية والسياسية، واتصافهم بالإنصاف، وتحليهم بالصبر والأناة والجلد. فضلا عن اهتمامهم بدراسة الأدب واللغة الشرقية، وبدا ذلك واضحا من خلال الأعمال الرائدة التي قدموها حول القرآن والإسلام واللغة العربية والتراث العربي، حتى أمضى بعضهم حياته كلَّها في دراسة اللغة العربية وتدريسها، والذود عن حياضها.

٣- كثرة مؤلفاتهم وتحقيقاتهم للتراث العربي، ودفاعهم عن لغة العرب، وعقد المؤتمرات حول اللغة العربية وخطوطها في العصور المختلفة.

٤- تباين آراء المستشرقين الألمان حول إعجاز القرآن وبلاغته.

٥- كثرة ترجمات المستشرقين الألمان لمعاني القرآن الكريم.

المسح الأدبي :

بالاطلاع عن المؤلفات والدراسات في مجال البحث، وجدنا هناك دراسات سابقة، يمكن الإفادة منها:

١- الدراسات القرآنية في ألمانيا دوافعها وآثارها للدكتور أحمد محمود هويدي، كلية الآداب جامعة القاهر، بحث منشور في مجلة عالم الفكر الكويت المجلد ٣١، عدد ٢ أكتوبر ديسمبر ٢٠٠٢م.

وهي دراسة تقع في ثلاثين صفحة من القطع تناول فيها الباحث عددا من القضايا منها دوافع المستشرقين الألمان بالدراسات القرآنية، وآثار هذا الاهتمام. لكن الباحث لم يتناول قضايا البلاغة والإعجاز القرآني لدى المستشرقين الألمان، وهو ما تقوم عليه دراستنا.

٢- المستشرقون والدراسات القرآنية د. محمد حسين على الصَّغير أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة، والدراسة مطبوعة في كتاب في ١٨٤ صفحة.

وقد بذل فيها الكاتب جهدا مشكورا، لكنه ركز على مشكلات الترجمة دون النظر فيما قاله المستشرقون في ترجماتهم وكتبهم ومقالاتهم حول لغة القرآن وإعجازه وبلاغته، أو ذكرهم الجوانب الإيجابية في القرآن الكريم.

٣- الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني للباحثة: سحر جاسم عبد المنعم الطريحي، بحث مقدم لنيل درجة العالمية الدكتوراه من جامعة الكوفة بالعراق ٢٠١٢م.

وقد بذلت فيه الباحثة جهدا مشكورا، لكنها لم تهتم بالقضايا القرآنية لدى المستشرقين الألمان كالقضايا البلاغية، وأسرار إعجاز القرآن.

٤- آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية د. أمجد الجناني، المملكة العربية السعودية الرياض.

وقام الباحث بمسح أدبي للدراسات المستشرقين الألمان دون الاهتمام بالبحث في قضية إعجاز القرآن وبلاغته، الذي هو محل اهتمام بحثنا.

٥- المستشرق الألماني (بيرجشتراسر) وآثاره في الدراسات القرآنية، للمؤلف: ناصح المنيع.

٦- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن، ورد شبهات) للدكتور فضل حسن عباس الجامعة الأردنية، دار البشير، عمان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وقد قام الدكتور في هذا الكتاب بالرد على شبهات البريطانيين، من خلال ما نشر الموسوعة البريطانية مادة "قرآن".

وقد ركز الكتاب كما ذكر في عنوانه على الشبهات المثارة، دون التعرض للجانب الإيجابي، فضلا عن أنه يهتم بشبهات البريطانيين دون غيرهم.

٧. الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، د. أحمد مكي الأنصاري، دار المعارف، مصر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

وقد اقتصر البحث على بعض القراءة القرآنية لبعض الآيات من القرآن الكريم، واختلاف النحويين في توجيهها، وقد قصر المؤلف الجزء الأول المطبوع على تتبع اختلاف الأقوال النحوية تجاه القراءات القرآنية، ووعد بأن يخصص القسم الثاني لأقوال المستشرقين في القراءات القرآنية، ولكن على حد علمنا لم القسم الثاني الخاص بالمستشرقين لم ير النور.

منهج البحث

يقوم البحث على كتابات المستشرقين الألمان المترجمة للغة العربية، والنظر في مقالاتهم ودراساتهم حول إعجاز القرآن وبلاغته، متخذا المنهج الوصفي والتحليلي لآراء القائلين بإعجاز القرآن الكريم، والمنكرين له، مع الاستعانة بإحصاء الأقوال المتشابهة، والحكم عليها بشكل متكامل.

خطة البحث

يتكون البحث من: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

يشمل **التمهيد** مفهوم الاستشراق، وأسباب اهتمام المستشرقين الألمان بالقرآن الكريم. وأهم الدراسات أقيمت من قبل المستشرقين الألمان حول إعجاز القرآن ولغته وبلاغته، وأهم القضايا التي تناولوها حول القرآن الكريم.

وشمل **الفصل الأول** أربعة مباحث:

المبحث الأول: مصدر القرآن وجمعه.

المبحث الثاني: التلاقي بين القرآن والتوراة والإنجيل.

المبحث الثالث: خطاب القرآن بين العموم والخصوص.

المبحث الرابع: القرآن والقراءات القرآنية.

الفصل الثاني: البلاغة القرآنية.

ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: ألفاظ القرآن وبلاغتها.

المبحث الثاني: معاني القرآن بين الوضوح والغموض.

المبحث الثالث: الانسجام بين ألفاظ آي القرآن وسوره.

المبحث الرابع: الإيقاع بالتكرار والصيغة والجرس والحركة.

الفصل الثالث: الفاصلة القرآنية، وآثر القرآن على المتلقي.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناسب الفاصلة لآي الذكر الحكيم.

المبحث الثاني: تناسق الفاصلة

المبحث الثالث: أثر القرآن في المتلقين.

الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع

وأخيرا نسأل الله القدير أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتنا.

الباحثـــــون

التمهيد

الاستشراق: يعني الدراسات الغربية التي تتعلق بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وحضاراته وتاريخه وتشريعاته وعقائده وحضارته بوجه عام .[١]

والمستشـــرق هو: كل عالم غربي متخصص درس لغة من لغات الشرق ،ودرس بهذه اللغة فنونها وآدابها ومعتقدات أهلها.

وكلمـــة مستشـــرق: تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله من حيث اللغة والآداب والحضارة والمعتقد.

فالمستشرقون هم الذين يقومون بدراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ودراسة لغاته ولهجاته والطبائع والشخصية في كل مجتمع شرقي[٢].

فالمستشرقَ الذي يدرسُ نصَّ القرآنِ وعُلومَه لا يدرسه على أنه وحي منزل، بل مِنْ زاوية العلمِ فقط. ويُعالج النصَّ القرآنيَّ وِفقاً لِمَعاييرِ علومِ الدياناتِ العامةِ، وَوفقاً لعلوم التأريخ، فمِن هنا يُمكنُ القولُ أن القرآن عند المستشرقين عبارة عن وثيقة تاريخية ثَمينة، قابلة للنقد التأريخي.

وقد قام المستشرقون عموما بدراسة اللغة العربية في أديار الرهبان، وترجموا العديد من كتب اللغة العربية، كما ترجموا القرآن الكريم إلى لغات مختلفة، وقد كشف الدكتور محمد البهي هدف المستشرقين من ترجمة القرآن بقوله: "إن الاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الإسلام حضارة وعقيدة

---

(١) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، د. عبد الرحمن عميرة ص٧٨، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د. محمود زقزوق ص١٨ كتاب الأمة.

(٢) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري د. عبد المتعال الجبري ص١٣ مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م الطبعة الأولى.

وتراثاً كان دافعه الأصيل العمل من أجل إنكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة، والتنديد والاستخفاف بها"[١].

لهذا يرى المستشرق الألماني المعاصر « ألبرت ديتريش » أن المستشرق: هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتّى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق[٢].

لقد عاد الإسلام واللغة العربية مادة خصبة لموضوع الاستشراق، وطغت هذه المادة على ما سواها، ولقد قدّر للقرآن الكريم أن يحتضن الإسلام واللغة العربية في وقت واحد، حتى أضحى أغنى المواضيع عند المستشرقين على الإطلاق ، فبحثوا في جزئيّاته وكلّياته ، وانصبّت بحوثهم الأكاديمية حوله بشكل متواصل .

دوافع الاستشراق الألماني وغايته:

تنوعت دوافع الاستشراق الألماني وغاياته تبعا للتنوع الثقافي والأيدلوجي ،فمنهم من هدفه التبشير، ومنهم من كان هدفه الاستعمار وآخرهم غايته العلم والوقوف على المجهول بالنسبة له[٣]، لكن الدافع الديني يعد الباعث الأول لاهتمامهم جميعاً بالدراسات القرآنية رغم اختلاف الوسائل والأهداف.[٤]

فالمستشرقون ليسوا على درجة ،فمنهم من سمت غايته ،وعلا هدفه ، ومنهم من دبَّر مكايده بليل وصارت دراسته مدخلا للاستعمار.

---

(١) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص١.

(٢) ظ: البرت ديتريش: الدراسات العربية في ألمانيا، تطوّرها التأريخي ووضعها الحالي ٧، جوتنجن / ١٩٦٢م.

(٣) المستشرقون والدراسات القرآنية د. محمد علي الصغير ص ١٣،دار المؤرخ العربي بيروت لبنان. ب.د.

(٤) الدراسات القرآنية في ألمانيا دوافعها وآثارها د. أحمد محود هويدي ص ٧٤، مجلة عالم الفكر الكويت م٣١ ع ٢ ديسمبر ٢٠٠٢م.

فمنهم من كان هدفه تقديم صورة مشوهة عن الإسلام للعالم الغربي من خلال تقديم ترجمات غير أمينة لمعاني القرآن الكريم، وتطويع النص القرآني لأغراض عقدية ومذهبية، وآخر يعمل لصد الناس عن دين الله وتقديم حجج لأصحاب الديانات الأخرى بصحة معتقدهم، والتنفير من الدين الإسلامي والقرآن الكريم، والتأكيد على أنه الخطر الأكبر الذي يجب التصدي له، وعدم الانجراف نحوه، وثالث كان هدفه تقديم الإسلام والقرآن للتعريف بعقيدة الإسلام، كدليل على الحضارة الإسلامية، وتعريف الناس بحقائق الدين الإسلامي، وهؤلاء كانوا أقرب في دراستهم للموضوعية ،وأعجبوا بهذا الدين فأنصفوه من خلال شهاداتهم، وأسلم عدد منهم من أمثال: ليوبولد فايس(محمد أسد)، ومراد هوفمان، وتأثر الشاعر جوته بالقرآن فاقتبس عددا من الآيات في ديوانه: الديوان الشرقي للمؤلف الغرب"[١].

ويقول المستشرق بارت: "إننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبيه غير صافية ، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة"[٢].

وقد أبان ماسينيون الصوفي، أو عبده محمد ماسينيون عن طبيعة الفريقين من المستشرقين في خاتمة الرسالة التي للعلامة محمود شكري الألوسي في ٢٥/ ١٩٢٣/٧م ١٣٤١/١٢/١٠هـ بقوله[٣]: "إن نفرا [معتدلا] منهم ونقصد جميع المستشرقين من كافة الجنسيات يستحق الاحترام والتقدير لما له من مآثر في نشر العلم والثقافة، وتسهيل الوصول إلى مؤلفات وأعمال ودراسات لو لم يبادروا إلى تحقيقها ودرسها وفهرستها فهرسة كاملة ونشرها من مخطوطات كتب وتراث وحضارة، ومن أحاديث نبوية وتاريخ ولغة وآداب وفلسفة، الخ لكانت ما تزال قابعة سجينة الخزائن بعيدة عن النور، ناهيك

(١) الدراسات القرآنية في ألمانيا دوافعها وآثارها ص ٧٤ . ٧٥.

(٢) رودي بارت ص١٠، نقلا عن كتاب الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د. محمود زقزوق ص ٧١.

(٣) مجلة المورد مجلد ٢٤ عدد٢١ لسنة ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، ص ١٧٦ وما بعدها.

بالمجلات المختصة التي أنشئت منذ عشرات السنين وما تزال تصدر حتى الآن، طافحة بالدراسات والتحقيقات والنصوص والمستندات والأعمال التي تشكل ذخراً تراثياً هائلاً ،فضلا عن المؤتمرات التي ينظمونها ويعقدونها للبحث والاطلاع وتبادل الآراء والدراسات".

ثم يكشف ما سنيون عن الغاية من جهود هؤلاء قائلا: "ومن أثر هذه الأعمال الجليلة ليس فقط تمكين العرب والمسلمين وغيرهم من الوقوف عليها والاستفادة منها، بل اطلاع الأجانب والأوربيين عليها بحيث أصبح في محيطاتهم الغربية من يقدِّر الحضارة العربية والإسلامية، ويدافع عنها، ويستقي من مصادرها، ويستوحي ذخرها فيما يؤلف وينشر".

أما النفر الآخر الذي ظل سادرا في جهلة أو تجاهله لها وشارعا في محاربتها فمعظمهم من اليهود أو ممن يتعاطف معهم، وقد درس هؤلاء الدين الإسلامي واللغة والآداب العربية والفلسفة العربية والإسلام والفقه ... إلخ فراح يحاربها، وينكر عليها أصالتها وأهميتها ودورها وأثرها في تفكير المؤلفين الأوربيين أنفسهم ، وفي المنجزات الفكرية الحضارية – ولم يروا في الإسلام شيئا ذا شأن – والإسلام كله تتمة غيرت مجرى التاريخ وحوّلته في مصلحة الإنسانية جمعاء . وإن وجدواه قالوا إنه دخيل من أصل غير إسلامي، إما يهودي أو نصراني، وذكروا أن الفلسفة العربية ليست سوى الفلسفة اليونانية بأحرف عربية، وأن الفقه الإسلامي ليس في الواقع سوى الفقه الروماني باللغة العربية".

وهذه الفئة تحاول دائما النيل من الإسلام والقرآن والرسول ﷺ، والرمي بالشبهات المتتابعة.

كما وصفت هذه الفئة القرآن بأنه مخلوق، أو أنه أساطير الأولين، وأن الإسلام مجموعة من البِدع والخرافات، وأنه حُرِّف وبدل بعد وفاة النبي ﷺ وفي صدر الإسلام الأول، وغاية هذا الفريق التقليل من مكانة القرآن والإسلام ، وتنفير الناس منه.

فالمستشرقون المسيئون الذين عمدوا قصدا وتعصبا إلى تشويه القرآن والدين والحضارة الإسلامية، ومحاربة الإسلام كثيرون وهؤلاء منتشرون في مختلف الأقطار الأجنبية نذكر منهم على سبيل المثال: نولدكه وجولد تسهير ودايفد مارغليوس إلخ.

إننا لا يمكن أن نستسلم لما يقوله الغرب عن الإسلام، أو يروجه لهم، كما نرى بعضهم يقول مادحا الغرب: "فالمستشرقون ليس لديهم أحكام مسبقة كما نعتقد، والحقائق التي يتوصلون إليها تتسم بالحياد والموضوعية والعلمية"(١).

أي قول هذا، إننا إذا قبلنا جهودهم العلمية الخاضعة للتجارب والمختبرات فهل نقبلهم تحاملهم على القرآن والإسلام؟ إن هذا لشيء عجاب.

نظرات الغرب عامة والألمان خاصة للقرآن والنبي محمد ﷺ ليست واحدة، فقد تنوعت آراؤهم بين الإيجابية والسلبية، وانقسم الفكر الغربي تجاه قدسية القرآن، ورسالة النبي الخاتم، وهذه الحقيقة أكد عليها القرآن الكريم ﴿لَيْسُواْ سَوَاء﴾ [آل عمران" ١١٣].

والبحث معنيٌ بإبراز تنوع الفكر الألماني تجاه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، ورصد افتراءات الجهلاء وإنصاف العقلاء الذي تبحروا في العلم دون تعصب، أو انطلاق من موروث ثقافي ديني، وإنما حكموا العلم، فأنصفوا القرآن ورسالة نبي الإسلام، وردوا شبهات وافتراءات الفريق العدائي تجاه القرآن، وعضد البحث ردود النصفين بآراء علماء الإسلام حيال هذه القضية.

إن تشكيك المستشرقين في إعجاز القرآن وبلاغته والطعن فيه، وكيل الشبهات حوله لا سند له على الإطلاق فأسلوبه وبلاغته من المسلمات لدى العرب الخلص الذين عاصروا نزول الوحي، فكيف بالأعاجم ينفون عنه الإعجاز أو يشككون في بلاغته؟!!!

(١) الفكر الإسلامي الحديث د/ محمد البهي ص٥٩١.

إن الذي يقدر إعجاز القرآن وبلاغته هم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، الذين أخبروا طرقه، وتصريف القول وأوجه الخطاب فيه، يقول الباقلاني: "فأما من كان متناهيا في معرفة وجوه الخطاب، وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة، فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه"(١).

وكان تفسير نولدكه للإعجاز القرآني بعيدا عن معنى المعجزة الحقيقي، فنراه يقول: "إذا تفحصنا تحدي محمد عن كثب اكتشفنا أنه لم يتحد خصومه أن يأتوا بما يضاهي القرآن من ناحية شعرية أو خطابية، بل بما يضاهيه من حيث الجوهر، وهذا ما لم يكن في وسع أعدائه بطبيعة الحال، فكيف كان لهم أن يدافعوا عن الإيمان القديم بالآلهة، وكانوا على اقتناع شديد به بالطريقة نفسها التي دافع فيها ذاك عن وحدة الله وما يتعلق بها من عقائد".

فالمعجزة القرآنية عند نولدكه ليست في بلاغته ونظمه بل في العقيدة التي تضمنها، وهذا لم يقل به أحد قديما أو حديثا، وحديث المعجزة مقصور على ما لا يقدر على الإنسان أن يأتي به في المجال العرفي أو العلمي، وليس عقديا إذ كيف يأمرهم بأن يأتي بدين يدعوا إلى التوحيد وسلامة المعتقد وهم على الشرك والكفر بالوحدانية.

لقد جاء محمد ﷺ برسالته السماوية مصدقا لما بين يديه من الرسل، داعيا إلى الإيمان بكل الرسل ورسالتهم، وإلى كلمة وسواء بينه وبينهم، مقررا أنها تنبع من معين واحد، وتهدف إلى غرض واحد، بلا تفصيل بينهم، وعلى الجميع أن يتوجه بالعبادة إلى وحده لا شريك له ،وألا يتخذ الخلق شريكا من دون الله، وأن جميع العباد بينهم علاقات مقدسة.

فالمسلمون يؤمنون بكل الأنبياء السابقين، ويؤمنون بأن النبي محمد خاتم الأنبياء، وأنه لا إكراه في الدين.

---

(١) إعجاز القرآن ص ٢٢.

آيات الأنبياء السابقين انصرمت أما آية النبي وهي القرآن الكريم فباقية ومحفوظة من التحريف والتبديل، باقية أمامهم يتعاملون من خلالها في حياتهم.

فمن المنصفين: أنجيليا نويفرت، وبعض كتابات تيودور نولدكه (Theodore Noldeke) حول لغة القرآن، وننفيد كرماني في كتابه "بلاغة النور جماليات النص القرآني" هؤلاء نافحوا عن إعجاز القرآن وبلاغته في معظم أقوالهم.

ولما كثر حديث المستشرقين الألمان حول إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، ولم نجد –بحسب علمنا – دراسة متخصصة في إعجاز القرآن وبلاغته لدى المستشرقين الألمان، قصدنا القيام به.

والبحث يقوم على تتبع أقوال الفريقين والموازنة بينهما بحيادية، بعيدا عن المدح أو الذم.

وفي المقابل نجد وواجناز جولدتسيهر(Ignaz Goldziher) ودبليو فلهاوسن (W. Wellhause) .

ودفيد ساموبل مرجليوث (David Samuel Margoliouth) وفانسبورج (FANSEBONG) في (كتابه دراسات قرآنية)، الذي يعد من أكثر المؤلفات المعاصرة حول الدراسات القرآنية إثارة للجدل والمناقشة، ووافقه في هذا الجانب الكثيرون، فقد أثاروا العديد من الشبهات حول إعجاز الكريم وبلاغته.

ولعل من أسباب عداء هؤلاء للإسلام هو عدم إدراكهم للغة العربية، وجهلهم بلاغة القرآن، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "إن أول الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن جهل بلاغة اللغة العربية التي بلغت ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين جميعا، وإن ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا، وأسلوبه المعجز للبشر ... وإنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمدوا تحريف كلمه عن مواضعه، وقلما يكون فهمهم تاما

صحيحا، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمنا، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما: قصور فهمه، وقصور لغته "[1].

واهتم كثير من المستشرقين بجمع المخطوطات العربية وعملوا على تحقيقها، وأنشئت كراسي اللغة العربية، كما أنشئت المجلات التي نشرت فيها أبحاث اللغة العربية من قبل المستشرقين.

وهناك محاولات جادة فنظرت إلى الحضارة العربية والإسلامية نظرة إنصاف وتقدير واحترام وتعاطف، وسادت النظرة العقلية التي أبرزت ملامح ظلم الإسلام في أوربا، وظهر على الساحة في أواخر القرن التاسع عشر مؤلفات معتدلة عن الإسلام والحضارة العربية، كما ظهر الكثير من المجلات العلمية عن الشرق في فرنسا وألماني وروسيا وغيرها.

انبرى عدد من المستشرقين الألمان بدراسة القرآن الكريم ومصدره وتاريخه ومن بين تلك الدراسات:

١- تاريخ القرآن (أصل وتركيب سور القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه ١٩٣٠م جوتنجن ١٨٥٦م.

٢- تاريخ القرآن للمستشرق الألماني برجشتراسر.

٣- اشتقاق لفظ القرآن للمستشرق الألماني يوروفيتش.

٤- ترجمة القرآن إلى الألمانية للمستشرق بويسن ١٧٧٣م.

٥- دليل القرآن للمستشرق الألماني مايير ١٨٥٧- ١٩٤٥م.

٦- القرآن للمستشرق الألماني "كالة" بحث منشور بصحيفة دراسات الشرق الأدنى ١٩٤٩م.

٧- القرآن والعربية للمستشرق الألماني كالة" نر بمناسبة ذكرى جولدتسيهر. ١٩٤٨م.

(١) الوحي المحمدي ص٢٤، ٢٥، المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة.

٨- مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن للمستشرق الألماني جوستاف فايل ١٨٠٨ ١٨٨٩م.

٩- مذهب لطبيعة الواحدة النصراني في القرآن" للمستشرق الألماني بومشتارك، نشر بمجلة الشرق المسيحي ١٩٥٣م.

١٠- معجم قراء القرآن وتراجمهم" للمستشرق الألماني برجشتراسل ١٩١٢م.

١١- النصرانية واليهودية في القرآن للمستشرق الألماني بومشتارك نشر بمجلة الإسلام ١٩٢٧م.

أهم القضايا التي تناولها المستشرقون الألمان حول إعجاز القرآن وبلاغته.

تناولها المستشرقون الألمان من خلال ترجماتهم للقرآن قضايا عديدة ومنها:

١- مصدر القرآن.

٢- أثر المسيحية واليهودية في القرآن

٣- علاقة القرآن بالشعر العربي

٤- جمع القرآن

٥- ترتيب آيات القرآن وسوره.

٦- الفواصل القرآنية وعلاقتها بالآيات.

٧- الآيات المكية والمدنية .

٨- تفسيرهم للمعجزة بمعاني مختلفة .

ما يسود الترجمات الألمانية لمعاني القرآن الكريم.

جل الترجمات الألمانية هدفها التأكيد على بشرية القرآن سواء أكان من عند النبي محمد ﷺ أم من صحابته ومن حوله، وأنه نتاج عربي، وهو ظاهرة اجتماعية، أي أنه لم ينزل من السماء، ولم يتنزل به الوحي، ودافع هؤلاء هو الحقد على الإسلام وعلى القرآن خوفا من انتشاره وصد الناس عنه، والتأكيد على التشابه بين القرآن والشعر العربي في وقته، وشتان بينهما، فلا علاقة بين القرآن والشعر سوى اللغة فقط التي نزلت به حتى يتحقق الإعجاز،

أما نظمه وتأليفه وانسجامه فلا يوجد تشابه البتة، فالموضوعات مختلفة والروح بعيدة كل البعد، فالقرآن يختلف أسلوبا ومذاقا وروحا.

ولا شك أن المستشرقين يتحدثون عن مسألة جمع القرآن وكأنهم يتابعونها اليوم ،ولم يدركوا خصوصية الزمان والمكان والأفراد، فلقد امتاز الصحابة بالحفظ وإتقان الكتابة والاستعداد للقيام بهذه المهمة الصعبة.

فمعظم المستشرقين ينفي أن يكون القرآن من عند الله، فهو في معتقدهم من صنع محمد بن عبد الله ﷺ.

وأحكام القرآن لدى هؤلاء المستشرقين مطلقة، ونصه تاريخي يزول بزوال الظروف التي أحاطت به، ولم يراعي طبيعة تفسير وركائزها من حيث النسخ وأسباب النزول وغير ذلك.

يقول لودفيجو ماراتشي الذي ترجم القرآن للإيطالية: "أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن المخترع الرئيس له ،فأمر لا يقبل الجدل ، وإن المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لمتكن معاونة يسيرة وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركا الاعتراض عليه بذلك" [١].

شبهات المستشرقين الألمان حول إعجاز القرآن وبلاغته

١- القرآن لا يمثل نموذجا عاليا في البلاغة والفصاحة.

٢- تعدد مصادر القرآن واستقاء بعض قصصه من التوراة والإنجيل.

٣- بشرية القرآن وتأخير تدوينه.

٤- غياب الانسجام بين آي القرآن وسوره ، ولهذا أجازوا دراسته وفق ترتيب النزول.

٥- مجيء كثير من فواصل القرآن من أجل الانسجام اللفظي فقط.

٦- إبطال معجزة القرآن ، فشككوا في مصدر القرآن.

---

(١) المستشرقون والإسلام إبراهيم اللبان القاهرة مجلة الأزهر صـ٤٤، ١٣٩٠- ١٩٧٠م ملحق مجلة الأزهر.

إن هدف جُل المستشرقين بشكل أساسي هو تضييع الهوية الإسلامية ،والتشكيك في ما اتفق عليه جمهور المسلمين من خلال دعوات باطلة يغذيها الحقد على الإسلام، وتحكيم الهوى ونزعات العداء للإسلام والمسلمين، ووضع الفكرة أو النتائج مقدما اعتمادا على أدلة لا قيمة لها في البحث العلمي، فضلا عن تضخيم الأخطاء الصغرى ،وإعادة نشرها بصور مختلفة، ورفض الحق بالنفي المجرد وقياس تصرفات المسلم على غير المسلم بحكم الإنسانية، ونسوا هؤلاء أن الشخصية الإسلامية لها سمتها في التعامل والحياة.

يقول المستشرق الألماني(رودي بارت) متحدثا عن الهدف الأول من الاستشراق بأنه "حين تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب(بيتروس فنيرا بيليس) رئيس دير كلوني كان الهدف من هذا النوع من الاستشراق هو التبشير ولإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي"(١).

كما بثوا روح الضعف والشك فيما بين أيدي المسلمين من القيم والعقيدة والمثل العليا والتراث العربي الأصيل.

فالمستشرقين المتطرفون قاموا بتشويه حقائق الإسلام، وتشكيك المسلمين أنفسهم بدينهم، وشن الحملات على القرآن الكريم، واللغة العربية، وصد الشعوب عن الدخول في الإسلام، ونشر الدعوات أن سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة المادية يعود إلى التمسك بدينهم ولغتهم العربية والرجوع للوراء ووصفوا الدين الإسلامي بأنه دين ميت، وهذا غير صحيح.

صرف أنظار من يرغبون الدخول في الإسلام من الغربيين، وهذا هو هدف مشركي مكة، فأثاروا البلابل، وطعنوا في القرآن.

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامي د. علي حسن الخربوطلي ص٣٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

فئات المستشرقين

١- فمنهم من أخذته العزة بالإثم، وأعماه التعصب المقيت، فأعمل عقله وفكره وقلمه في اتهام الإسلام بتهم ما أنزل الله بها من سلطان من أمثال :"بريدو"، و"سيل"...إلخ.

٢- ومنهم من توفر على دراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي، أو قام بعمل المعاجم العربية ...الخ.

٣- ومن المستشرقين من درس الإسلام بحيادية وموضوعية ونزاهة علمية فأنصف الإسلام والمسلمين، بلغ بعضهم أن اعتنق الإسلام.(١)

٤- ومنهم من جند دراسته وبحثه في الإسلام بقصد الانتقاص من قدره، والتشكيك في صحة رسالة الإسلام، فأنكروا النبي محمد ﷺ، وأنكروا القرآن الكريم، واستبعدوا أن يكون كتابا منزلا من عند الله ﷻ، وأن القرآن مأخوذ من التوراة والإنجيل، وهذه هي الفئة الغالبة.

٥- فريق عرف الإسلام معرفة خاصة، من خلال معايشته المسلمين، أو من خلال دراسة مصادره وتاريخه، وأبرز عواطف الود الصادق تجاه الإسلام باعتباره دينًا، والمسلمين باعتبارهم أمة، وهي العواطف التي نبعت من أعماق نبيلة، وثاروا لَمَّا قرَؤوا عن العداء المسيحي أو الغربي للإسلام، فحملوا لواء الدفاع عن ملامح حياة المسلمين التي عرفوها بحق.

٦- المقارنة بين أقوالهم من حيث الإيجابية والسلبية.

٧- فحص أدلة كلا الفريقين والحكم عليها.

٨- تتبع أسباب النظرة الإيجابية لدى المستشرقين الألمان؛ لإعجاز القرآن وبلاغته.

٩- أسباب النظرة السلبية لدى المستشرقين الألمان لإعجاز القرآن وبلاغته

---

(١) المستشرقون لنجيب العقيقي ٣/ ٦١٩، والاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د. مصطفى السباعي ص٣١-٣٢، والاستشراق والخلفية الفكرية د. زقزوق ص٧٦.

١٠- البحث عن أسباب طعن المستشرقين الألمان في النص القرآني، وإثارة الشبهات حوله؟

١١- تلمس جهود المستشرقين الألمان المعاصرين الذين تبنوا الرد على شبهات المستشرقين الأوائل تجاه الإعجاز القرآني.

الفصل الأول

المبحث الأول

مصدر القرآن - وجمعه

اهتم المستشرقون الألمان بالحديث عن تاريخ القرآن الكريم، وإعجازه، وركزوا في ذلك على مصدر القرآن، وتدوينه وجمعه، ورسمه وتاريخه، ومن أول الكتب التي تناولت هذا الموضوع باستفاضة (المدخل التاريخي النقدي للقرآن)[١] لجوستاف فايل، وتاريخ النص القرآني لجولدتسهير، ونولديكه وكتابه (تاريخ القرآن) الذي واعتمد فيه بشكل أساسي على المنهج اللغوي المقارن (الفيلولوجيا/ PHILOLOGY) لبحث الظاهرة القرآنية، كما اعتمد على المنهج التاريخي النقدي، لفهم الأحداث والوقائع التي أشار إليها القرآن، والتأكيد على الصلة بين الحدث والنص، وقد تعامل مع النص القرآني كنص بشري يخضع للنقد والتحليل، وليس كتاب منزل مقدس لا يخضع لمثل هذه المقاييس البشرية.

اعتبر بعضهم القرآن الكريم من وضع محمد ﷺ، وأنه كتاب متناقض، وليس بوحي من الله، وقال آخرون أنه مأخوذ باللفظ أو المعنى من كتب العهد القديمة والحديثة، فهو في موضوعاته ومصادره وجدله وقصصه مأخوذ من التوراة أو الإنجيل.

يقول نولدكه: "إن محمدا لم يتحرج من تكرار الآيات، وتعديل مواضعها في المقاطع القرآنية، أو نسخها بحسب تبدل الظروف، وغالباً ما راعى في عمله الظروف الراهنة فلم يهتم بترتيب السور ترتيبا محكما بحسب زمن تأليفها أو مضمونها"[٢].

ويقول في موطن آخر: "لم يكن ممكنا لمؤلف القرآن أن يقوم بجمعه

(١) صدر الكتاب عام ١٨٤٤م، وأعيد طبعه ١٨٧٠م.

(٢) تاريخ القرآن ص٤٣-٤٤.

كاملا... وهو لم ينس بعض المقاطع وحسب، بل قام أيضا بتعديل بعضها عن قصد، يدلنا المثل التالي أنه قام أحيانا بإجراء إضافات إلى ما كان مكتوباً، كما يناسب أغراضه حين وبَّخ القرآن أولئك الذين قعدوا عن الحرب، أتى أعميان إلى محمد ﷺ وسألا بخوف عما إذا كان اللوم يصيبهما أيضاً؛ عندها أمر محمد زيد بن ثابت بأن يضيف بعض الكلمات التي يستثني فيها المصابون بعلة جسدية من اللوم، ... وأن مواضع كاملة أُلحقت بمواضع أخرى بعد زمن طويل أو قصير من نشوئها، لكن بعض القطع تلاها محمد على أناس مختلفين بصيغ مختلفة، إما لأنه أراد أن يحسنها أو . وهذا أكثر حدوثاً. لأن ذاكرته عجزت عن حفظها من دون تعديل"(١).

لقد بلغ الكذب والافتراء مداه في النص السابق، حيث أكد على تأليف النبي محمد ﷺ للقرآن، وأنه يغير ويعدل ما شاء، بحسب الظروف والمقامات، أي قول هذا ؟!

أما جولدتسهير فيؤكد على أخذ القرآن من التوراة والإنجيل فـ"تبشير النبي محمد ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة، فصارت عقيدة انطوى عليه قلبه، كما صار بعد هذه التعاليم وجهاً إلهياً"(٢).

ويقول نولدكه : "كلمة "آيات " معناها غير واضح في الموضع الوحيد الذي ترد فيه في القرآن ... لكن الاعتقاد الذي يذكره، أ: غاير (A.GEIGER) يبدو صالحاً يبدو صالحا للقبول أكثر من تلك المعاني، فالكلمة تتصل برأيه بالكلمة اليهودية "مثْنا" والأفضل القول بالكلمة اليهودية . الآرامية "مثنيثو" بمعنى التقليد ويمكن أن يكون هذا هو المعنى المقصود في

(١) السابق ص ٤٤.
(٢) الغارة التنصيرية ص٥٩.

سورة الحج"[١].

ويقول الألماني اليهودي (إبراهام جيجر AARAHAM GEIGER) في كتابه "ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟: "إن القرآن مأخوذ باللفظ أو المعنى من كتب اليهود"[٢].

والرد على هؤلاء أن القرآن الكريم نزل دفعة واحدة من اللوح أي: بيت العزة في سماء الدنيا، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، ونزل منجما في ثلاث وعشرين سنة، وكُتب وحُفظ كله في زمن بعثة النبي محمد ﷺ فكان يأمر كتّاب الوحي بكتابته، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته، ويقول لهم، ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة، وهذه الآية بإزاء تلك الآية، ولم ينتقل النبي محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوباً في عهده، ونزل منجَّما آية آية ، وجاء مطابقا للأحداث، ومنسجما مع الواقع البشري الماثل، ولما استُخلف أبو بكر الصديق ﷺ جُمع في مصحف واحد من الأصول المكتوبة في حياة النبي ﷺ وبأمر منه لكتَّاب الوحي، ولما اتسعت رقعة الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية، وانتشر في البلاد المختلفة، وامتزج العرب بغيرهم من الأمم بعد الفتوحات أدى ذلك إلى ظهور الاختلاف في قراءة القرآن، فأمر عثمان بن عفان ﷺ بسحب المصاحف المختلفة وجمع الناس على مصحف واحد، يشتمل على قراءة واحدة .

ولم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ؛ لعدم الحاجة لهذا الأمر، ولكثرة حفظته، وروايته بالتلقي ،والكتابة وحدها لا تكفي في تعلم القرآن وتعليمه؛ لأن ضبط الأداء كما جاء عن النبي نفسه إلا

(١) تاريخ القرآن ١/ ١٠٣.

(٢) المستشرقون ودراسة القرآن، محمد صالح البنداق ص١٠٧، دار الآفاق الجديدة بيروت ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.

مشافهة، وهذا ما تظاهر المسلمون على حفظ القرآن، وإن جاءت الكتابة إلى جانبه سياجا بعد سياج[1].

فالجمع والضم الذي قام به زيد بن ثابت ومن معه من الجذاذات والرقاع المحفوظة عند عدد من الصحابة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ كان وِفق الترتيب الذي نزل به الوحي وحُفظ في صدور الرجال، وعهد للجميع.

فحفظُ القرآن الكريم وترتيب آياته وسوره، كما نزل به الوحي ثابت لم يتغير وهو الذي بين أيدينا الآن؛ فهو أمر توقيفي لا اجتهاد فيه من أحد.

وقد أوجز الشيخ الزرقاني مراحل جمع القرآن فذكر أن القرآن جمع في عهد النبي ﷺ كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، لكن ذلك كله كان مبعثرا بين عُسُب، وعظام، وحجارة، ورقاع ونحو ذلك حسبما تتيسر أدوات الكتابة، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثق للقرآن، مع التركيز على الحفظ والاستظهار.

وجاء جمعه في عهد أبي بكر الصديق ﷺ فكان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف مرتب الآيات والسور، مقتصرا فيه على ما نُسخت تلاوته مستوثقا له بالتواتر والإجماع، وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعاً مرتَّباً؛ خشية ذهاب شيء منه بموت حَمَلته وحُفَّاظه.

أما الجمع في عهد عثمان بن عفان ﷺ فكان عبارة عن نقل ما في تلك الصُّحف في مصحف واحد إمام، واستنساخ مصاحف منه تُرسل إلى الآفاق الإسلامية مع الحفاظ على ترتيب آيات وسور القرآن جميعا، كما كانت في عهد النبي ﷺ، وكان الغرض من هذا الجمع إطفاء الفتنة التي اشتعلت

(١) ينظر: نظرات في القرآن الشيخ محمد الغزالي ص ٣٢، مكتبة نهضة مصر الطبعة السادسة، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحي محمد ربيع، ص١٨٧. ١٩٥، دار الوفاء مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، وتاريخ كتابة القرآن د. محمد سالم محسن ص١٢٨– ١٢٩.

بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن، وجمعَ شملهم، وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل.(١)

ورغم هذه الثوابت عند المسلمين إلا أن نولدكه يُصر على مخالفته فيقول: "...هذه الرواية نشأت بالأحرى عن الاعتقاد الخرافي بأن الترتيب الحالي للقرآن، لآياته وسوره على حد سواء، إنما هو ترتيب ذو أصل سماوي فعلا... من المشكوك به أن يكون محمد قد أمر منذ البدء بتدوين كل ما أُنزل عليه من الكتاب السماوي"(٢).

لقد شكك نولدكه في الترتيب الحالي للقرآن، كما شكك في تدوينه في حياة النبي ﷺ، وهذا افتراء وبهتان، فالترتيب القرآن بحسب ما عليه المصحف الآن توقيفي، ليس فيه اجتهاد من النبي ﷺ، ولا من الصحابة الكرام في حياته، ولا من التابعين بعد ذلك، وإنما كان النبي يتلقى ترتيب الآيات والسور بوحي من الله بواسطة جبريل عليه السلام.

روى القرطبي بسنده عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٨١]، فقال جبريل: " يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة".

هذا الحديث وغيره مما ورد في كتب السنة أن ترتيب القرآن توقيفي من قبل الله تعالى.

كما أن النبي ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجالس أحداً ليتلقَّى منه شيئا من القرآن كما يدعي هؤلاء، وقد أبطل القرآن كل هذا الزيف، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ**

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢٦٢/١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠٠٣م . ١٤٢٤هـ.
(٢) تاريخ القرآن ص٤٢.

الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨. ٤٩]، وقال سبحانه: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** [الفرقان:٤.٦].

وقال ﷻ: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[الأعراف:١٥٧]

ووصفه بالأمية دليل على صدق إنزال القرآن من رب العالمين وهو: "وصف خص الله به من رسله محمداً، إتماماً للإعجاز العلمي العقلي الذي أيده الله به، فجعل الأمية وصفاً ذاتياً له، ليتم بها وصفه الذاتي وهو الرسالة، ليظهر أن كماله النفساني كمالٌ لدُنّي إلهي، لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان، لأنه لمّا حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق، وكان على يقين من علمه، وبينة من أمره، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين، صارت أميته آية على كون ما حصل له إنّما هو من فيوضات إلهية" (١).

وأجمع علماء المسلمين على أن الآيات رتبت بتنزيل من الله تعالى، وسجلها كُتاب الوحي في موضعها كما أمرهم الرسول ﷺ تبليغا عن رب العزة، فليس للكُتَّاب أي اجتهاد في هذا الأمر، ولا من جاء بعدهم إلى يوم القيامة، قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر:٩] .

(١) التحرير والتنوير ٣١٤/٨.

وهذه الثوابت لم توافق هوى نفر من المستشرقين، ولا أغراضهم أو أهدافهم فراحوا ينشرون مزاعمهم وشبهاتهم الباطلة حولها من أجل زعزعته لدى الراغبين في الإسلام من الغرب.

وشكك كثير من المستشرقين الألمان، ومنهم: نولدكه في مصدر القرآن فهو عنده بشري، وأنه دُون وجمع بعد نزوله بفترة طويلة؛ فغُيِّر عن أصله الذي نزل به ،ودخله التبديل والتغيير، وحدث فيه تقديم وتأخير، وخرج عن القاعدة النحوية، وكثر فيه التكرير بلا فائدة، وأقحمت الفواصل بلا دافع معنوي وإنما جاءت من أجل التحسين اللفظي، وتعددت القراءات القرآنية لأهواء وأغراض شخصية.

ونقول لنولدكه ومن تأثر به لقد أقر العرب ببلاغة القرآن وبديع نظمه، وأكدوا أنه مباين لنظم البشر وإن كان من جنس ما يتكلمون به، فهذا إقرار بصحة ما جاء به؛ لهذا أخذتهم الدهشة، وانتابتهم الحيرة، وأقروا بعجزهم عن أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان.

والعرب بما أوتوا من فصاحة اللسان وعجيب البيان يستطيعون التمييز بين الكلام الموحى به وبين كلام البشر، ولو كان لديهم من القدرة التي تمكنهم من أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما تأخروا لحظة واحدة، كيف ذلك والقرآن يجهر بالتحدي الصريح، وترك لهم حرية المعارضة، وهم أهل أنفة واعتزاز، ولكنهم أقروا بالعجز صراحة: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الأنفال:٣١].

إن خصائص القرآن وسمات أسلوبه، وطبيعة بنائه الجمالي الذي لا يضاهى يؤكد على الفور بالعجز عن الإتيان بمثله، وهذا دليل على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى أنه رسول يوحى إليه هذا القرآن، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ﴾ [الأنعام:١٩].

فمجال التحدي كان بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، وما كان بخلاف ذلك من الإخبار بالغيب، أو الإخبار عن الأمور المستقبلية لم يكن مجالا للسجال

أو التحدي، وفي هذا دليل على أن القرآن تنزيل من رب العالمين جاء لتأييد نبوة محمد ﷺ، وأنه منزل من عند الله بلفظه ومعناه، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب السماوية لكن هل يتساوى الإنجيل والتوراة والزبور مع القرآن في الإعجاز البياني؟. أظن أن الجواب بالنفي، فكل كتاب له خصوصية وإن اتحد المصدر، فضلا عن أن القرآن دَون وجمع وحفظ في زمن نزول الوحي، وبقى على حالته التي بين أيدينا الآن.

ويُعد التشكيك في القرآن والزعم أنه بشري، أو أنه أخذ من المسيحية أو اليهودية، أو تشابه معهما هو قضية القضايا والنقطة المركزية التي بنى عليها المستشرقون الألمان أمثال: نولدكه، وجايجر، وهيرشفيلد، ورودولف ومن على شاكلهم كل دراستهم.

وكل هذا الزيف ليس له وجه من الصواب، فالقرآن كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه لفظا ومعنى باللسان العربي المبين، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء :١٩٢- ١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨]، وقال ﷻ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٢]

والقرآن يفصح عن نفسه بلغة إنسانية، وبلغة من الاختيار الإلهي معا في ذات الوقت.

وإذا كنا قد عرضا لكلام فئة مجحفة من المستشرقين فإننا نجد في الجانب فئة منصفة، تضع الأمور في نصابها الصحيح، يقول المستشرق الألماني: مونتجمري واط (Montgomery watt)(1909-2006) في كتابه: "الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر": "إنَّ القرآن ليس بأيّ حال من الأحوال كلامَ محَمَّد، ولا هو نتاج تفكيره، إنَّما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محَمَّد ومعاصريه ومن بعدهم. ومن هنا فإنَّ محَمَّدا ليس أكثرَ من

«رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكَّة أوَّلاً، ثمَّ لكلِّ العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين. وهناك إشارات في القرآن إلى أنَّه موجَّهٌ للجنس البشري قاطبةً. وقد تأكَّد ذلك عمليًّا بانتشار الإسلام في العالم كلِّه، وآمن به، وقبِله بشرٌ من كلِّ الأجناس تقريبًا"(١).

ويقول دي كستري: "أتى محمد ﷺ بالقرآن دليلا على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سر من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها، ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله"(٢).

وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان: "القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة أخرى؟!".(٣)

ويقول المستشرق الفرنسي عن أسلوب القرآن وبلاغته: "الواقع أن للقرآن الكريم أسلوبا عجيبا يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فحسن تأليفه والتئام كلماته، ووجوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله وانسجام قصصه، وبديع أمثاله كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة، وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القب روعة، لا يمل قارئه ولا يخلق بترديده

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات: ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة: مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠١، نقلا عن كتاب الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء د. محمد عمارة، ص ١٦٢، دار الشروق القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

(٢) نقلا من كتاب : قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل ص ٦٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

(٣) مقدمة كتاب (الإسلام كبديل) د. مراد هوفمان، تعريب عادل المعلم، ص٣٣. دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

... قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قل أن تجد فيها غريبا، وهي مع سهولتها جزلة عذبة، ألفاظه بعضها مع بعض متشاكلة منسجمة لا تُحس فيها لفظاً نابياً عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سمو معانيه أدركت بلاغته وإعجازه"(١).

حقا إنه كلام الله تعالى الذي لم يكن فيه للنبي محمد ﷺ أي تدخل وإنما تلقاه عن أمين الوحي جبريل عليه السلام؛ ليكون معجزته المؤيدة لرسالته.

(١) السابق ص ٨٢- ٨٣.

المبحث الثاني
التلاقي بين القرآن والتوراة والإنجيل

معظم الذين درسوا القرآن الكريم من المستشرقين كانوا أتباع الديانات الأخرى، كالمسيحية واليهودية وغيرهما؛ لهذا تأثروا بمعتقداتهم وأفكارهم، وكان منطلق حكمهم على النص القرآني نابعا من قناعاتهم الثقافية، وشاع عند كثير منهم أن القرآن صياغة جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، أو اقتبس بعض المعاني والقصص من التوراة والإنجيل.

لقد شاع عند كثير منهم أن القرآن صياغة جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، وهذا يعني عندهم أن القرآن ليس مصدرا سماويا مستقلا، وأن النبي محمد ﷺ استقى فكرته من أهل الكتب السابقة، كاليهود والنصارى، وأنه يلتقي كثيرا مع الشعر العربي، وكل هذا محض افتراء وكذب، ولا أساس له من الصحة.

وهذا يعني عندهم أن القرآن ليس مصدره سماويا مستقلا، وأن النبي محمد ﷺ استقى فكرته من أهل الكتب السابقة كاليهود والنصارى، وزوَّره ولفقه من مصادر يهودية، واستند هؤلاء على آيات من القرآن فسروها حسب هواهم، ورددوا أقوال كفار مكة كدليل على ادعائهم : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان :٤-٦]، لقد أثبتت الآيات أن القرآن منزل من رب العالمين، وأن القرآن أبطل افتراءات كفار مكة ، وليس أن محمدا قد افتراه من قبل نفسه ،أو استعان بآخرين في كتابته.

ويقول جولدتسيهر: " تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخباً من معارف وآراء دينية بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها

تأثراً عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار بعد هذه التعاليم وحياً إلهياً" (١)

يقول نولدكه (Noldkah) "وإنا ليضايقنا ويقزز نفوسنا ذلك الخيال السقيم والعوز في المنطق والفقر المدقع في الأفكار والاضطراب وعدم الاتساق الذي نراه في القرآن"(٢).

وذكر المستشرق الألماني فلهلم رودلف (Wilhelm Rudolpn) في كتابه:(des Qorans von judentum und christentum die Abhan gigkeit) تحت عنوان كيف اقتبس محمد ﷺ من اليهودية والنصرانية ؟ وفيه نص على ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم مأخوذة من التوراة ومما قاله في هذا الشأن: "إذا كان محمدا قد قرأ تلك الكتب فلا بد أن يكون قد اقتبس منها بعض العبارات أدرجها في القرآن، فهل فعل ذلك؟ هذا ما نستطيع أن نقطع فيه برأي عندما نفحص تلك العبارات التي يجوز لنا مع التسامح أن نعدّها مقتبسة"(٣).

وسرد فلهلم عددا من الأمثلة على افترائه السابق ومن ذلك ما ورد في القرآن من قوله سبحانه: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر:٣]، وهذا عنده مستقى من كتاب العهد القديم (لأن يوما واحدا في ديارك خير من ألف).

هذا القول يوحي بتعدد مصادر القرآن، وأنه ليس وحيا ،بل هو تجميع وتلفيق من هنا وهناك.

ونقول لهؤلاء المستشرقين ومن على شاكلتهم، هذا بهتان عظيم ،ولي لعنق النص، وإثبات أشياء بعيدة عن الصواب، ونحن نسألهم هل تؤمنوا بأن

(١) الغارة التنصيرية ص ٥٩.

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية ٢٣/١.

(٣) صلة القرآن باليهودية والمسيحية د. فلهلم رودلف، ترجمة عصام الدين حفني ناصف، ص١٥٠، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤م.

الكتب المقدسة وحي من الله؟ والجواب واضح من الطرح أنه لا يؤمن بذلك؛ إذ لو كان يؤمن بذلك لبطلت كل أقواله وافتراءاته.

ادعى هؤلاء أن القرآن مأخوذ من اليهود والنصارى، كيف ذلك ولغتهما غير عربية، والقرآن عربي فصيح بل في قمة الفصاحة والبلاغة، قال تعالى: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)** [النحل: ١٠٣].

والقرآن الكريم جاء متمما للكتب السابقة، قال سبحانه: **(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** [يونس: ٣٧]

وعرض نولدكه لبعض آرائه حول القصص القرآني، ونص بطريق غير مباشر على استقاء القصص القرآني من التوراة فيقول: "إن كل المواضع القرآنية التي يوصف فيها الإسلام بأنه دين إبراهيم ينتمي إلى الفترة المدنية، فعندما خاب أمل محمد آنذاك من أن أهل الكتاب الذين قد مزجا دينه بدينهم منذ البداية لم يريدوا الاعتراف به، بحيث من جهة لا تعارض مبدئيا تعاليمه المكية المبكرة من ناحية، ومن ناحية أخرى من جهة لا يسهل على أهل الكتاب الطعن فيها كأقوال موسى وعيسى، وهكذا تشبث محمد بدين إبراهيم الذي سمت مكانته عند اليهود والمسيحيين بسبب عدالته وطاعته الله"(١).

النص السابق يؤكد اقتباس محمد ﷺ من وجهة نظر نولدكه – من أحبار اليهود ورهبان النصارى في رحلاته التجارية، وأن القصص القرآني غير عربي، وأنه مستقى من الكتب اليهودية والنصرانية، نظرا لوجود تشابه بين القرآن وهذه الكتب، وهذا كلام مجاف للصواب لا يستند إلى أدلة علمية، وإنما كلام يقوم على القناعات الفكرية والثقافية وليس على المنهج العلمي الأصيل.

(١) تاريخ القرآن ص٤٢٥.

وما قاله نولدكه بعيد عن الصواب إذ لا مجال للموازنة بين أسلوب القصة القرآنية والقصة في التوراة، فضلا عن الغاية لدى كل منهما إن القصد من القصة القرآنية هو التذكير والتهويل مما خالفوا شرع الله، وتمكن منهم الشيطان، ولذلك تكرر القصة في القرآن بحسب ما يقتضيه المقام، وقد ترد على سبيل الإشارة والتلميح؟[1].

إن نظرة نولدكه ومن على شاكلته من المستشرقين الألمان من أمثال: إيفالد (H.Eeald)، ويوليوس فلهاوزن، نابعة من عقائدهم الدينية، فنظروا إلى القرآن نظرة النتاج البشري، ونسوا أن القرآن نص مقدس لا يخضع للتفكير العقلي.

يقول الدكتور دراز: "مهما بذل المغرضون من محاولات لتجميع نقط التشابه بين الحقائق القرآنية والحقائق اليهودية والمسيحية، سنقول: جهد ضائع بل إن ذلك سيكون معناه بالحرف الواحد اصطناع أسلحة تفيد منها المبادئ القرآنية، إذ إن هذه التعاليم موجودة في الكتب المنزلة السابقة، ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ**﴾[الشعراء:١٩٦]، ﴿**إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:١٨- ١٩]، كما أن شهادة علماء بني إسرائيل دليل كاف على صدقها: ﴿**أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء:١٩٧].

ولكن الاتفاق شيء، والاقتباس شيء آخر، وبينهما فراغ شاسع لم يحظ -حتى وقتنا الحاضر على الأقل- بأن يجد من يملأه [2].

لقد حاول المستشرقون إثبات أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ أو أنه من وضع البشر، أو أنه نقل من غيره من التوراة والإنجيل والكتب السابقة،

---

(1) ينظر: الأساليب العربية في الأدب العربي أنيس المقدسي ص٦١، دار العلم للملايين بيروت ط ٥، والمستشرقون والدراسات القرآنية ص٣١- ٣٢.

(2) مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٦٤.

وقد اتخذوا لإثبات هذه الدعوى وسائلَ كثيرة، وكلها باطلة بالأدلة والبراهين. قال تعالى: **(وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)** [العنكبوت:٤٨].

والرسالة الخاتمة أكدت على ما هو صحيح في الكتب السابقة وأبطلت غير الصحيح، وإذا اتفق القرآن مع الكتب السابقة في التعاليم العامة إلا إنه لم يلفق منهما كما يدعي المستشرقون ومن سار على دربهم، بل مكل للرسالات السماوية والسابقة، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة:٩٧]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً**﴾ [النساء:٤٧].

وأوضح الدكتور طه حسين: "أن القرآن كلام لم تسمع العرب مثله قبل أن ينزل من السماء، فهو ليس شعراً، لأنه لم يجر في الأوزان والقوافي والخيال على ما جرى عليه الشعر، ولم يشارك الشعر الذي ألفوه في وصف الأطلال والربوع، ولا في وصف الحنين إلى الأحبة، ولا في وصف الإبل في أسفارها الطوال والقصار، وليس فيه غزل ولا فخر ولا مدح ولا هجاء، ولا حرب فيها الكر والفر"[١].

كان النبي محمد ﷺ كما وصفه القرآن أميا لم يقرأ ولم يكتب ولم يجالس أحبار اليهود، ولا رهبان النصارى كما يدعي المستشرقون بدعوة إبطال إعجاز القرآن وقداسته، ويركزون أن القرآن صناعة بشرية.

لقد جادل النبي النصارى في إنجيلهم، واليهود في توراتهم دون أن يقرأهما، أو يعي ما فيهما، ثم هو يدعوهم إلى الدين الحق، ويوضح لهم

(١) ينظر: مرآة الإسلام د طه حسين ص١٤٤ دار المعارف مصر.

الشرائع التي تنفهم في حياتهم، وسبل إنشاء علاقات اجتماعية نبيلة تقوم على الود والوئام ،ويكشف لهم عن مكنون ضمائرهم [١].

وقد قيض الله بعض الغربيين ليشهد بتفرد أسلوب القرآن، يقول مسيوبارتلمي سنتكير: "إن القرآن قد أبقى أجمل أثر للغة التي أُنزل بها، ولم أر ما يُشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الإنساني، وهذا الأمر يفسر التأثير العظيم الذي أحدثه هذا الكتاب على العرب الذي اعتقدوا أن محمدا في معارفه الساذجة(البسيطة) لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب، وأن لا بد أن يكون قد أملاه عليه جبريل من عند الله"[٢].

ويعجب المرء من المستشرقين الألمان الذين يصرون على انتحال القرآن من التوراة والإنجيل، وهذا كلام مخالف للحقيقة، والمقارنة بين القرآن والكتب المقدسة غير مقبولة، ولا أساس لها من الصحة.

فالمسلمون يرون عيسى عليه السلام رسولا ولد بمعجزة من مريم العذراء البتول، وليس ابن الله، ولا متحدا معه في الجوهر، بل هو عبد لله، قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** [المائدة:١١٠]، وقال سبحانه: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ**

(١) ينظر: السابق.

(٢) ينظر القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي د. محمد أبو ليلة ص ١٠٨، دار النشر للجامعات مصر ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٨٩.٩٣]

وأن عيسى عليه السلام رفع ولم يصلب، قال تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وقال عز وجل: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾** [النساء:١٧١].

لقد جاء النبي محمد ﷺ برسالة تملأ أقطار النفس الإنسانية علما، وتروي ظمأها الروحي، وتجيب تساؤلها الفكري.

كما لا يجوز ترجمة ألفاظ القرآن، وأن الجائز فيه ترجمة معانيه لاستحالة نقل اللفظ من النص القرآني العربي إلى أية لغة أخرى(١)، وهذا من إعجاز القرآن وبلاغته.

تقول أنا ماريا شمل: "لطف الكلمات العربية ودقتها ورقتها وأنغامها تجعل من الصعوبة بمكان ترجمتها، لا تستطيع ترجمة أن تُحافظ على روح وشكل النص العربي، وهو يقود لصعوبات في تفسير المعنى، ولا ولا يسهل على القارئ غير العربي طريقه بهذا لفهم القرآن، بل هناك الخطر الوارد في عدم الإلمام بالسياق الكامل للنص، وفصل أجزائه، ثم تعسر الفهم، أو الأسوأ

(١) ينظر: بحث في ترجمة القرآن وأحكامها للشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق ص ٣٢، ٣٦، ٦٧، ٧٨، هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٢٣هـ، وكتابة القرآن بالرسم الإملائي والحروف اللاتينية اقتراحان مرفوضان، د. عبد الحي الفرماوي ص ٣١- ٥٨، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

من ذلك الفهم الخاطئ، ونادراً ما يعي غير المسلم كيف طبع القرآن آداب المسلمين وفنونهم الثقافية من بلاغة وخط وزخرفة وترتيل"(١).

إن الخطأ الذي وقع فيه المستشرقون عامة والألمان خاصة هو التعميم والإسقاط، أي إسقاط ما في اليهودية والنصرانية على الإسلام، لكن القرآن والإسلام يختلف عنهما اختلافا جوهريا، فالقرآن لا تاريخ له، والإسلام لا يخضع للتغيير في تعاليمه وأصوله وثوابته، فقد جُمع القرآن مرة واحدة في زمن الوحي، وأغلق الستار عن هذا الأمر فور موت النبي محمد ﷺ، وتكفل الله تعالى بحفظه من أي تغيير أو تبديل أو تحريف، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر"٩]، أما غيره من الكتب السابقة فقد تدخَّل فيها الإنسان فغير وبدل قال تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ..**﴾ [النساء:٤٦]، ورغم صراحة النص القرآني فإن المستشرقين ما زالوا يهزون ويغالطون ويقلبون الحقائق، ويعممون الأحكام باسم البحث، ويؤمنون بأن النص القرآن يخضع للنقد مثل باقي النصوص، وهذا بهتان عظيم، وزيف وبيل.

لقد أنكر النبي محمد ﷺ أصول عقيدة النصارى، كالتثليث والصلب والفداء والكفارة، فكيف ينقل عنهم؟ وكيف ينقل عن اليهود وهو ينكر عليهم معتقدهم، وينكر بما تنزل عليه من الوحي تحريفهم لكتابهم؟ قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ [البقرة:٧٦]، فهل بعد القول الصريح من الوحي بأن أحبار اليهود حرفوا وبدلوا، ثم ينقل عنهم النبي محمد ﷺ كما يدعي هؤلاء إن هذا لشيء عجاب؟!

(١) الإسلام كبديل ص١٢.

ونورد ما يبطل دعوى أن القرآن مصدره الإنجيل والتوراة حيث إن أصحابهما يجهلون ما أورد القرآن من أصول عديدة لم ترد في الكتابين، فضلا عن تفصيلات في الأحداث، فقد أخبر القرآن عن أشياء لم يعلمها أحد من أهل الكتاب أنفسهم مع أنها تتعلق بصميم مسائل دينية، فقد أخبر القرآن عن كفالة زكريا عليه السلام لمريم العذراء بعد ولادتها، كما أخبر عن أشياء تحدث في المستقبل كانتصار الروم بعد غلبهم، بل أخبر القرآن عن أشياء ما زالت غائبة عن العلم الحديث حتى يومنا هذا، كانخفاض الضغط الجوي في أعالي المرتفعات، قال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٥] .

ولم يذكر المستشرقون دليلا واحدا نقليا عن تلقي النبي محمد ﷺ من يهودي أو نصراني، صحيح أن هناك نقاط اتفاق بين القرآن والكتب السابقة التي لم يتخللها التصحيف والتحريف، وهذا لا خلاف فالإسلام جاء مصدقا للتوراة والإنجيل، وأوجب على المسلمين أن يعترفوا بهما، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا**﴾ [المائدة:٤٨]، ومما يسبق يثبت بطلان أخذ القرآن من الكتب السابقة(١).

فضلا عن أن يبدل النبي كلمة أو يغير فيها بعد نزول الوحي بها قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [يونس:١٥]، وقال ﷻ: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦]، فالقرآن وحي الله المتين نوره المبين ورحمة الله للعالمين.

(١) مصدر القرآن الكريم، د. عبد الودود بن مقبول حنيف ص٥٢- ٥٣.

لقد نص نولدكه على وجود اتفاق بين التوراة والإنجيل والقرآن في أمور كثيرة، بل قال إن لفظ "قرآن" اتخذ من الشكل "قرأ" العربي، وأن "مقرا العبرية كانت شكلا من أشكال التأثر به[1] مأخوذة من التوراة والإنجيل، كما قال :"يمكننا قبول ما يقوله شبرنغر ضد ذلك إلى درجة الاعتقاد بأن الآية (١٥) أضيفت لاحقاً. عن طريق جمع هذه الرؤى بالحلم اللاحق عن الإسراء المقدس، وكذلك تحت تأثير نماذج يهودية أو مسيحية سابقة"[2].

وهذا كلام مخالف للحقيقة، والمقارنة بين القرآن والكتب المقدسة غير مقبولة، فالقرآن نزل في ثلاثة وعشرين عاما ودوّن فيهما أيضا أولا بأول، أما التوراة فلم تدون إلا بعد ثمانمائة عام تقريبا، ومثلها باقي الكتب، ولا يوجد للنص القرآني وتدوينه تاريخ كما في الكتب الأخرى، فقد دون القرآن الكريم في زمن نزوله مباشره، خلافا لما قاله نولدكه ومن تبعه من المستشرقين الألمان وغير الألمان، من أخذ القرآن من المسيحية أو اليهودية، رغم أن هذه الكتب تعددت نسخها، ودخلها التحريف والتبديل، وهذا ما أكد عليه القرآن، كما قوله تعالى: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾ [النساء:٤٣].

أما القرآن فليس له سوى نسخة واحدة، قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢].

ويختلف القرآن عن الكتب الأخرى في نظمه وتركيبه، فضلا عن أصول الإيمان، فعقيدة الإيمان والتوحيد في القرآن هي الركيزة الأولى والثابتة

(١) تاريخ القرآن ١/ ٤٦، وينظر: إشكالية فهم النص القرآني في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية دراسة نقدية تحليلية لنماذج مختارة د. أحمد صلاح البهنسي ص ٥٣ مجلة البحوث والدراسات القرآنية ع١٥ السنة العاشرة نوفمبر ٢٠١٤م.

(٢) تاريخ القرآن ١/ ٨٩

فيه، فالإنجيل مثلا لا توجد فيه الخاصية على الإطلاق، فالله عندهم ثلاثة، كما نسبوا لله الصاحبة والولد، وهذا منفي عن الإسلام تماماً.

كما لا يجوز ترجمة ألفاظ القرآن، وأن الجائز فيه ترجمة معانيه لاستحالة نقل اللفظ من النص القرآني العربي إلى أية لغة أخرى(١)، وهذا من إعجاز القرآن وبلاغته.

لقد صرح معظم المستشرقين الألمان أن الإسلام والمسحية يلتقيان في حديثهما عن الجنة بالصور الحسية المتكررة، وهذا تحد للمشاعر الجديرة بالاحترام ،فالقرآن برئٌ من الأساطير والخرافات، وما جاء فيه عن اليوم الآخر وعن الحياة الدنيا حقائق لا شك فيها على الإطلاق، واتخاذ القرآن أسلوب المجاز هو بمثابة التأكيد على هذه الحقائق وإظهارها في صورة بيانية شائقة تحدث في النفس تأثيرا محاطا بالإقناع العقلي والفكري.

وما يردده المستشرقون عن القرآن والإسلام، هو ما قاله المشركون والكفار والمنافقون والجاحدون، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**﴾ [النساء:١٧١] فالآية تحاجج للنصارى بعد محاجة اليهود فكلاهما بالغ في الإفراط أو التفريط، وقد دحض الله شبهة هؤلاء وهؤلاء.

(١) ينظر: بحث في ترجمة القرآن وأحكامها للشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق ص ٣٢، ٣٦، ٦٧، ٧٨، هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٢٣هـ ، وكتابة القرآن بالرسم الإملائي والحروف اللاتينية اقتراحان مرفوضان د. عبد الحي الفرماوي ص ٣١. ٥٨، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

فأهل الكتاب آثمون، واليهود أنكروا نبوة عيسى عليه السلام، وجحدوه، وادعوا قتله، وقد ناقشهم الله في ذلك بقوله: "﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ [النساء١٥٥-١٥٧]، فهؤلاء هم اليهود وقد حكم القرآن بكفرهم صراحة، وحكم الله بكفر النصارى فقد قالوا بألوهية المسيح وبالتثليث قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة:١٧]، وقال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [المائدة:٧٣] فهل بعد هذا يقال إن أصحاب الدين الحق هم المسلمون والمسيحيون واليهود، والإظهار على الدين كله خاص بالمشركين والكفار والنافقين والجاحدين دون أهل الكتاب.

لقد تعامل المستشرقون في دراستهم للنص القرآني كتعاملهم مع "الكتاب المقدس" باعتباره نصا تاريخيا يخضع للنقد كالمخطوطات القديمة أو الحديثة، أو كالتاريخ الإغريقي، وتاريخ تطور العلوم الطبيعية، وكل ما يقوم به الغرب من دراسات الشرق القديم والإسلام والعصور الوسطى يخضع لهذه المقاييس التي خضعت لها دراسة العهدين: القديم والجديد(١).

ويمكن أن تكون هناك مقاربة بين النص القرآني والتوراة والإنجيل قبل تحريفهما، وجاء القرآن مصدقا لهما، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس:٣٧]، وهي ليست علاقة اقتباس كما يزعم هؤلاء بل

(١) ينظر: ما بعد الاستشراق د. وائل غالي ٧٧/١، ٧٨ د . عبد الرحمن عميرة ص٧٨. دار الهلال العدد ٦٨٤، ٢٠٠٧م

هيمنة وتصديق، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].وهو المبيّن لما أجملته الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:٣٧]. فالقرآن المتصف بهذه الصفات لا يمكن أن يأخذ من الكتب السابقة ألبتة؛ لما بينما من تباعد.

يقول المبشر الدومنيكاني دي مونت كروس: "يا محمد! أنا لا أصدق أنك قد تسلمت هذه الآراء من الله؛ لأنك عجيب غريب في رسالتك؛ لأنك لا تتفق مع أي كتاب مقدس آخر... يجب أن ننبذ ما ادعى محمد أنه تسلمه من الله؛ لأنه متناقض تماماً للأحكام التي كتبها موسى والأنبياء والرسل بعده"(١).

والذي يؤكد هذا أن النسخة العربية للعهدين القديم والجديد لم تظهرا إلا بعد وفاة النبي محمد ﷺ بقرون بعيدة، فكيف يكون اقتبس منها وهي لم تظهر بعد، كما لم يوجد نص عربي من التوراة في حياته ﷺ، وما أقوال المستشرقين إلا تزييف للحقائق، ونشر الشبهات، وإبعاد الناس عن الدخول في دين الإسلام.

ومن اتهامات المستشرقين وجود علاقة تشابه بين القرآن والشعر، ولا يوجد ثمَّة تشابه بينه وبين الشعر ألبتة، فهذا كلام رب العالمين، وهذا كلام البشر، ثم قال: إن القرآن أدان الشعر في آخر سورة الشعراء، والحق أن هذا

(١) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، د: قاسم السمرائي ص٦٢ دار الرفاعي الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

لا يعني كل أنواع الشعر بل المقصود هو الشعر الهجائي في حق المسلمين، الذي وظفه في مواجهة الدعوة الإسلامية.

كما أن القرآن لم يحارب الشعر لذاته، وإنما حارب المنهج، والتوظيف الهجائي الذي لا يتناسب مع هدي القرآن وآدابه[1].

إن دراسة لغة القرآن وبلاغته وإعجازه ودراسة معانيه كانت من جل اهتمام المستشرقين الألمان، فاهتموا بقصص القرآن وعقدوا مقارنات بين القرآن والكتب السابقة فدرسوا القرآن بما يخدم معتقداتهم، وغلب على بعضهم الدفاع عن الكتب السابقة والانتقاص من القرآن والإسلام، وتأثر بعضهم بالمناهج العلمية المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، فدرسوا القرآن من هذا المنطلق، وأخضعوه للنقد كأي نص آخر.

لقد تعانق المنهج التاريخي والمقارن لدى هذه المدرسة، وعملوا في ذلك على نقد النصوص القرآنية، وهذا كله تزييف وتحريف، كما أنه يتعارض مع الثوابت لدى المسلمين.

(١) في ظلال سيرة الرسول ﷺ، تأليف السيد المخزنجي ص١١٠.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الثالث

خطاب القرآن بين العموم والخصوص

القرآن الكريم اشتمل على نوعين من الخطاب "خطاب العامة" و"خطاب الخاصة".

وفي هذا التقسيم مراعاة لعقول أصحابهما، فخطاب العامة يكون واضحا مكشوفا، وخطاب الخاصة يعتمد على الإشارة والتلميح، وإعمال الفكر لإدراك المقاصد والغايات.

وهو قرآن واحد، يراه البلغاء من لطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر:١٧]، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، وميسر لكل من أراد "إقناع العقل" و "إمتاع العاطفة"(١).

واللغة أرقى الوسائل للوقوف على المضامين والمقاصد، والمعاني الأولى واضحة للجميع، يقول الإمام الشاطبي: "إنما يصح مسلك الإفهام والفهم ما يكون عاماً لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني، فإن الناس ليسوا سواء على وزن واحد ولا متقارب إلا أنهم يتقاربون في الأمور الجمهورية"(٢).

والقرآن في متناول الجميع كل يفهم منه بحسب ثقافته اللغوية واستعداده وارتقاء إيمانه، أما معانيه فهي واضحة لا غموض فيها ولا التواء، ولا خفاء، جاء على سنن العرب، واستوضحوا ما غمض عليهم فهمه بما جاء بلسان العرب الفصحاء والبلغاء.

---

(١) ينظر: النبأ العظيم ص١١٣، ونظرات في القرآن الشيخ محمد الغزالي ص ١٢٨، نهضة مصر.

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ٢/ ١٣٦.

فطريق العلم بالمعاني المشتركة واضح وظاهر للجميع كصيغ الأمر والنهي وألفاظ العموم، وإذا غمضت بعض المعاني فيمكن تفسيره بالشعر العربي.

أما إدراك الأسرار والمقاصد فمرتبط بعلم اللسان العربي، وقد قصر ابن قتيبة معرفة إعجاز القرآن على من فقه لغة العرب يقول: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب، أو افتنانها في الأساليب".(١)

والوقوف على خصائص الخطاب القرآني لا يتأت إلا لمن عرف اللغة العربية، وفكر في تراكيبها، وأدرك الفروق الدقيقة بينها، ومواقع دلالاتها.

ومعلوم أنه لا يقدر إعجاز القرآن إلا العرب الخلص الذين امتلكوا ناصية اللغة، وعرفوا أسرارها وخصائصها.

كما أن أبعاد الدلالات لا تتأتى إلا لمن أدرك علم المعاني والبيان بعد إتقانه لغة اللسان يقول الزمخشري: "ولا يتصدى أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علمي المعاني والبيان".(٢)

ومعلوم أن مستويات الناس في الوعي والإدراك والإبداع والابتكار مختلفة، كما أن مستويات حديث مختلف بحسب نقاء الفطرة، وعمق المعرفة وتغذيتها، وقد يكتفى بعض الناس بالمعنى المعنى الظاهر وبعضهم يدرك اللمحة والإشارة، أو كما يقول عبد القاهر الجرجاني، المعنى ومعنى المعنى، فالأول هو الظاهر من العبارة، والثاني ما يأتي بعد تقليب العبارة والوقوف على السياق والمقام وغير ذلك من مكونات البيان.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٢.

(٢) الكشاف ١/ ١١.

ووعي الناس بمستوياتهم المعرفية لآيات الله البينات ليس درجة سواء، لكن كل منهم يأخذ حظه بحسب قدراته وثقافته، والجميع مقتنع بما أدرك ووعى، والقرآن في جملته واضحة معانيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

فهو متعة للعامة والخاصة على السواء ميسر لكل من أراد "إقناع العقل" وإمتاع العاطفة"(١).

❁❁❁❁❁

(١) نظرات في القرآن الشيخ محمد الغزالي ص١٢٨، نهضة مصر.

المبحث الرابع
القرآن والقراءات القرآنية

نشأ مصطلح القراءات بوجود جماعة من الصحابة كانوا يتعهدون القرآن تلاوة ومدارسة، وزاد عدد القراء، واختلفت قراءاتهم تبعا لاختلاف اللهجات والألسن، مما دعا الخليفة الثالث للمسلمين عثمان بن عفان ﷺ لإرسال قارئ لكل مصر من الأمصار مع تنوع رسم الكلمات ليلائم كل قراءة، ثم أعقبها توحيد الرسم.

وجاء في كتاب المواهب الفتحية: "قال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان مقصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف واحد باتفاق المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة باختلاف أهل العراق والشام في بعض الحروف"(١).

ويعني مصطلح القراءات: "اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها".(٢)

ومصدر القراءات القرآنية هو النبي ﷺ ونقلها الصحابة عنه، ثم نقلها التابعون ثم التابعون جيلا بعد جيل، واختلاف القراءات كان باختلافات قراءة الصحابة رضوان الله عليهم في عهد النبي ﷺ، وشدد علماء القراءات في قبول القراءة، وهي أن تكون متواترة عن رسول الله ﷺ، يقول أبو عمرو الداني: "وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية وإذا

(١) المواهب الفتحية في علوم العربية الشيخ حمزة فتح الله ٨٦/٢، المطبعة الأميرية القاهرة الطبعة الأولى ١٣١٣هـ.

(٢) االبرهان ٣١٨/١.

ثبتت عندهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".[١]

وتنوع القراءات يرجع إلى تعدد اللهجات العربية، وقبول القراءة بوجوهها المختلفة فيه تيسير لقراءة القرآن لمعظم قبائل العرب وبطونها في الجزيرة العربية وقتئذ.

ويؤكد هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: "أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار (وهو مستنقع في المدينة كان ينسب إلى هذه القبيلة) فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ القرآن على حرف فقال: سل الله معافاته ومعونته، فإن أمَّتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: اقرأ على حرفين، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاث، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"[٢]

وقد شن المستشرقون الألمان عددا من الاتهامات والمطاعن حول القراءات القرآنية، ولم يدرك المستشرقون أن الغرض من تعدد القراءات، وعدوها أدلة على تحريف القرآن، واعتبروا حديث: " أنزل القرآن على سبعة أحرف" دليلا على افترائهم، رغم أن ذلك كان بقصد التيسير على الأمة، وتسهيل قراءته لدى أصحاب اللهجات المختلفة حتى يتمكنوا من حفظه وقراءته وفهمه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر:٢٢].

كما أن القراءات القرآنية مثل القرآن سواء بسواء، يقول الزركشي في البرهان: "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[٣].

---

(١) مناهل العرفان ٤١٥/١.

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ١٠٣/٦.

(٣) البرهان ج ١ / ٣١٨.

ولما كان العرب يتكلمون بلهجات مختلفة، ولغات متقاربة لكنها مختلفة في النطق والأداء، ومن مظاهر هذا الاختلاف: النبر، والإمالة، والتنغيم، وأصبحت هذه المظاهر جزءا من بناء الشخصية لديهم، وتسهيلا عليهم في النطق يسر الله لهم قراءة القرآن بحسب ما دُرجوا عليه، كما أن العرب سمعوا القرآن من النبي محمد ﷺ وكان فيهم الكبير والصغير والمرأة، فسهل عليهم قراءة القرآن دون مجهود ،كل بحسب لهجته وما تعود عليه من مخارج الحروف، وطريقة الأداء.

فالقراءات القرآنية غايتها تسهيل القراءة القرآنية بإقرار من النبي ﷺ، خلافا لما يدعيه بعض المستشرقين الألمان من نولدكه ومن وافقه كجولدتسيهر من أن اختلاف القراءات كان باجتهاد شخصي وليس وحيا.

وموقف المستشرقين الألمان من القراءات لا يقل سوءا عن موقفهم من النص القرآني فهي عند "كيس فيرشتيخ" من اختيار الناس، ولذا نراه يقول: "من ناحية نطق الهمزة فقد أحس الناس في صدر الإسلام أنه من الأفضل أن تستخدم الهمزة في تلاوة القرآن الكريم ، وذلك بالرغم من المعارضة الشديدة التي أبداها بعض القراء الأوائل"(١).

ولا شك أن الاختلاف في القراءات محصور في الآتي:

١. الاختلاف في حركات الكلمة بلا تغير في معنى الكلمة وصورتها ، كما في قوله تعالى: "ويضيق صدري" حيث قريء برفع (يضيق) ونصبها.

٢. الاختلاف في الحركات مع تغيير المعنى وبقاء الصورة نحو: "كفلها زكريا" بتخفيف الفعل ورفع (زكريا)، وقريء بشديد الفعل ونصب (زكريا).

٣. الاختلاف في حروف الكلمة مع تغير معنى الكلمة، وبقاء صورتها نحو: "انظر إلى العظام كيف ننشزها"، حيث قريء بالزاي المعجمة، وقريء (ننشرها) بالراء.

(١) اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، كيس فيرشتيخ ص ٦٣.

٤ـ الاختلاف في الحروف مع تغير الصورة وبقاء المعنى، نحو (وزادكم في الخلق بسطة)بالسين المهملة، و(بصطة) بالصاد المهملة.

٥ـ الاختلاف في الحروف مع تغير المعنى وتغير الصورة، نحو: (طلع منضود)، قرئ (وطلح) بالحاء المهملة، وقرئ (وطلع) بالعين المهملة.

٦ـ الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: (وجاءت سكرة الموت بالحق) حيث قرئت (وجاءت سكرة الحق بالموت).

٧. الاختلاف في الزيادة والنقصان نحو: (وما عملت أيديهم) قرئت (وما عملته أيديهم).

وهذا يعني أن الاختلاف في القراءات محصور في عدة صور تدور كلها في فلك الأداء، أو في الحروف، أما نولدكه فيبالغ في الأمر فيقول: "وقد يكون الاختلاف كثيرا جدا، ويؤدي إلى حذف آيات كاملة أو إضافتها"(١)

ويقول في موضع آخر: "لابد أن بعض الكلمات قد سقطت من سورة النمل ٢٧ فالمفردات التي تتبع (هو) لا يمكن أن تخص سليمان وصحبه"(٢).

وهذا محض افتراء وبهتان، فلم نجد قراءة قرآنية تؤدي إلى حذف آيات كاملة أو إضافتها، كما ذكر نولدكه.

إن أقصى ما يمكن تغييره في القراءة هو تغير حرف في الكلمة أو كلمة مفردة تلتقي مع الأولى في المعنى لا أن تتعارض معها.

والحقيقة التي لا تنكر أن: "كل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله ﷺ؛ وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر رمضان من كل عام بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء وينسخ ويبسر على عباده ما يشاء، فكان من تيسيره أن أمره بأن يقريء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم"(٣).

---

(١) تاريخ القرآن ٤٦/١.

(٢) تاريخ القرآن ١/ ١٢٧.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص٣٠.

لقد بلغت الكلمات المختلف فيها في القراءات المعتمدة نحو: (خمس وسبعين وثلاث مئة كلمة) في حين أن كلمات القرآن الكريم تبلغ حوالي (ثمانية وسبعين ألف كلمة) أي أن المختلف في قراءته من كلمات القرآن لا يتعدى نصف في المائة.

وأرجع كل من نولدكه وجولدتسيهر نشأة القراءات إلى الاجتهاد الشخصي الحر في إعجام الرسم القرآني وشكله، رغم أن القراءات مأخوذة عن النبي ﷺ، ومدونة بأمر من النبي ومحفوظ بالجملة بجمعها بين يدي النبي.

فالقراءات نشأت تلقيا لا أخذا من الرسم كما يدعي المستشرقون.

فالقرآن الكريم دون خطيا فور نزوله على رسول الله ﷺ، وجمع القرآن في زمن أبي بكر الصديق ﷺ، كما سُجل بين يدي النبي، وكلمات القرآن رسمت بصورة واحدة إلا في نسبة قليلة جدا دون تعارض في المعنى.

إن الاختلاف في الأحرف السبعة لم يكن اختلاف تضاد بمعنى أنه ليس هناك حرف يناقض الحرف الآخر، فليست هناك قراءة تثبت وقراءة تنفي، وليست هناك قراءة تثبت حكماً أو عقيدة وأخرى تنهي عنهما ، وليس هناك حرف يقرر مبدأ أخلاقياً أو قضية تاريخية وحرف آخر ينقص شيئاً من ذلك وإنما كان الاختلاف بين الأحرف دليل إعجاز هذا القرآن ومتانة هذه اللغة"[1].

وبهذا بان لنا أن قضية القراءات القرآنية لم يتدخل فيها أحد، وليس فيها مجال للاجتهاد الشخصي، كما يُدعى، بل مصدرها الأصيل التلقي والسماع والتواتر، والاستجابة للمطالب التي فرضت نفسها كالتسهيل في القراءة، وليس ما قاله المستشرقون من أن الاختلاف كان بسبب الخط والإعجام والضبط؛ لأن أمر النطق له معايير وقد أتقنها العربي فلم يكن في حاجة إلى تنقيط أو ضبط، بل المتحكم الأول في هذا الموضوع هو الصوت والأداء.

كما القرآن لا يصح قراءته بالمعنى كما ادعى جولدتسيهر معتمدا في ذلك على روايات واهنة.

(١) ينظر: إعجاز القرآن للرافعي.ص٦٦.

الفصل الثاني
البلاغة القرآنية
المبحث الأول
ألفاظ القرآن وبلاغتها

اللفظة هي أقل لبنة في البناء التركيبي، فإذا ما صح اختيارها صح البناء.

والقرآن الكريم جاء بألفاظ عربية، وكانوا يستخدمون جل هذه الألفاظ في حياتهم، ثم اتسعت دلالات الألفاظ، وصارت تُستخدم في أغراض ومعانى جديدة، وقد يستخدم القرآن ألفاظا ذات دلالات محددة المعاني، حينما يريد التعبير عن العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...**﴾ [آل عمران:١٤٤].

وهناك من ألفاظ القرآن مما يحتمل أكثر من معنى، ويحتاج الوقوف على المعنى المقصود إلى التفكر، والاحتكام إلى السياق والمقام وهذا كثير في القرآن، وهو ما يفيده طلب التدبر والتفكر، كما قوله تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢]، وقال سبحانه: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:٢٤] ، كما دعا القرآن الكريم إلى النظر في القرآن المسطور والمنظور.

ومن الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة:١٧٣]، فلفظ "الباغي" يطلق على الجاهل وعلى الظالم، وهو في الأخير أظهر وأغلب.

ولفظ – التعزير – مشترك بين التعظيم والإهانة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ**﴾ [الأعراف:١٥٧] غير أنها تستعمل في

معنى التأديب والتعفيف واللوم، تهكماً واستهزاء بالمذنب، ودل ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

كما أن اختيار اللفظ القرآني للمعنى اللائق به هو سر من أسرار إعجازه، ومناط بلاغته، وكلما أمعنت النظر فيها أيقنت أنها في غاية الروعة، فإذا ما غيرت صيغتها، أو عدل مكانها ضاع بهاؤها، وغاب سرها البلاغي.

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [الملك:١٩]، يقول الزمخشري عن سر اختيار الكلمة بصيغتها: " فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح"[١].

وتلحظ بلاغة الألفاظ المختارة في مكانها اللائق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾ [فاطر:٣٦-٣٧] لفظ " يَصْطَرِخُونَ" بتركيب وترتيب حروفها تعبر عن الحالة النفسية التي انتابتهم فور دخولهم جهنم ، فإذا بك تسمع صراغا صاخبا متداخلة منبعثة من الحناجر المكتظة بالأصوات الخشنة، المصحوبة والعذاب والنكال والخذلان.

---

(١) الكشاف ٥٨١/٤.

وتجد كلمة : زحزح: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

تشع بظلالها وإيحاءاتها وجرسها مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من الأصوات، وما يصحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه(١).

ونلحظ الدقة البالغة في انتقاء الألفاظ في التعبير القرآني، استعمال "الجانب الغربي" دون الجانب الأيمن في سورة القصص.

يقول ابن أبي الإصبع: "لما نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله وحبيبه محمد ﷺ كونه بالمكان الذي قضى فيه بكلمة الأمر، عرف المكان بالجانب الغربي، ولم يصفه بالأيمن، كما قال في أمر موسى عليه السلام، في موضع آخر: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢] فقد آثر التعبير القرآني النفي عن النبي محمد ﷺ كونه بالجانب الأيمن، فالمكان الذي نودي منه موسى عليه السلام يمكن أن يدل عليه بوصفين: كونه بالجانب الأيمن، وكونه بالجانب الغربي، حيث كان موسى عليه قارا عليه، وفيه قضى إليه ربه أمر الرسالة، ففي ذلك تشريف له.

وكان في خطاب النبي محمد ﷺ التعريف بالجانب الغربي؛ لأنه لم يكن قاراً عليه والكلام مسوق لنفي الكينونة.

وهذا الاستعمال أليق بمقام الرسول الكريم ﷺ لخلوه من نفي كونه بالأيمن ففي العبارة أعجب احتراس(٢).

---

(١) ينظر: الإعجاز في نظم القرآن ص ٧٩، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الإصبع ص١٢٣، نهضة مصر .ونتائج الفكر للسهيلي ص١٣٩، دار الفكر مصر.

ورغم ما أوضحناه إلا أن نولكه يصف ألفاظ القرآن بالوهن فيقول: "ما تكون في الفترة الثانية تدريجا من أسلوب ولغة ومعالجة للمواضيع يبرز في الفترة الثالثة بشكله النهائي. اللغة تصبح مطنبة واهية، نثرية التكرار الذي لا نهاية له، ولا يتورع النبي عن ترداد الكلمات نفسها تقريبا، البراهين التي تفتقر للوضوح والحدة ... كل هذا يجعل الآيات والسور مملة في كثير من الأحيان"(١).

أرأيت هذا الزيف من الاتهامات والأباطيل ؟!! ثم يُمدح نولدكه في عمله هذا ويحصل من خلاله على أرفع الأوسمة وأعلى الجوائز.

(١) تاريخ القرآن ١/ ١٢٨.

المبحث الثاني

معاني القرآن بين الوضوح والغموض

الناظر في معاني القرآن يجدها واضحة جلية في عمومها، لكن بعضها يحتاج إدراك معانيها إلى الفكر وإلطاف الروية، وإمعان النظر، فهناك معاني: "كالجوهر في الصَدَف لا يبرز لكَ إلاّ أن تشُقَّه عنه، وكالعزيز المُحْتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذِن عليه، ثم ما كلُ فكر يهتدي إلى وجهِ الكَشْفِ عمَّا اشتمل عليه، ولا كُلّ خاطر يؤذَن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شقّ الصَدَفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلٌ من دنا من أبواب الملوك، فُتحت له وكان:

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ إذَا اعتَزَوْا .... وهابَ رجالٌ حَلْقَةَ البَابِ قَعْقَعُوا

مَثَلُ مَنْ إذا نَظر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق:٣٧]"، فرأى المعنى على الفهم والعقل أخذه ساذجاً وقَبِله غُفْلاً، وقال القلب، هاهنا بمعنى العقل، وترك أن يأخُذه من جهتِه، ويدخُلَ إلى المعنى من طريق المَثَل فيقولَ إنّه حين لم ينتفع بقلبه، ولم يفهم بعد أن كان القلب للفهم، جُعِلَ كأنه قد عدِم القلبَ جملةً وخُلع من صدره خَلْعاً، كما جُعل الذي لا يَعِي الحكمة ولا يُعمل الفِكْر فيما تُدركه عَيْنه وتسمَعُه أُذُنه، كأنه عادمٌ للسمع والبصر، وداخلٌ في العَمَى والصمم ويذهبُ عن أنّ الرجل إذا قال قد غاب عني قلبي، وليس يحضُرني قلبي فإنه يريد أن يُخيّل إلى السامع أنه قد فقد قلبه، دون أن يقول غابَ عني علمي وعَزَب عقلي"(١).

فالكلام عند القدماء كلما احتاج إلى تفكر وتدبر لإدراك مقصوده، وليس الفهم من أول وهله يكون له أثرا جماليا أوقع، ويكون ثباته في الأنفس أشد وأقوى.

---

(١) أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجاني، تعليق: الشيخ محمود محمد شاكر ص ١١٦. مطبعة المدني .

وكلما قصد المرء أن يتعمق في لغة القرآن بدت قراءته ليست بالشيء الهين، فكثير من مواضع القرآن يصعب فهم مرادها على الشخص العادي نظرا لبنائها على المجاز، أو التقدير، ولهذا يصعب ترجمة لفظه، بل يقتصر على ترجمة المعاني فقط.

لقد وضح (سيلز) بطريقة مقنعة من خلال سورتين من قصار السور مسألة أن النص القرآني يحافظ على إعمال العقل وإحداث الانفعالات الداخلية التي تطلب تفسيرا ما توقفت عنده من إيضاح المعاني، وهذه خاصية جملية، ومن ذلك خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في القاعدة النحوية ، كما في مستهل سورة القارعة، قال تعالى: ﴿**الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ**﴾[القارعة: ٣.١] ، كلمة القارعة تحمل معاني كثيرة بداية من "الضرب" حتى "الترويع"، والتقسيم"، كما عن موقعها، حيث بدت الكلمة منفردة دون علائق نحوية سابقة، ثم أعقب ذلك بالتكرار الدال على التأكيد، ثم يأتي جواب القسم: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ**﴾ [القارعة:٥.٣].

الآيات في جملتها تحدث تأثيرا حسيا يصحبه تداعيات نفسية هائجة نتيجة الإيقاع الصوتي الأجش وما يصحبه من تخويف من هول القيامة(١).

ولا شك أن تنوع معاني القرآن دليل على إعجازه فالكل ينهل منه بحسب استعداده الفطري، والرغبة في سبر أغوار النص، والتسلح بالمعرفة بشكل مستمر؛ ولذا فالقرآن نقطة انطلاق دائم لمزيد من الخبرات التي تتولد من عملية التلقي وإدراك المعاني والأسرار.

وقد أفاض علماء التفسير في بيان المقصود بالمحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ**

(١) ينظر: بلاغة النور لنفيد كرماني ص١٧١. ١٧٤. منشورات الجمل.

وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧].

اختار الإمام الطبري القول بعدم التفريق بين المحكم والمتشابه، بالنسبة للواضح وغير الواضح، وإنما الفرق بين الآيات التي يمكن تفسيرها من قبل العلماء، والآيات التي لا يعرف كنهها إلا الله، أما الزمخشري فكان له رأي آخر: "فإن قلت: فهلا كان القرآن كله محكماً؟ قلت: لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه".(١)

وهذا يعني أن حاجة بعض معاني القرآن إلى التفكر والتدبر أحد وجوه الإعجاز، فالقرآن حمال أوجه أي متعدد المعاني والرؤى بلا اختلاف أو تضاد، وإدراك هذه الرؤى يحتاج إلى بذل المجهود في كشف المضامين والمعاني الثواني.

ألم تغب بعض المعاني عن بعض الصحابة وكانوا في بداية الإسلام فكيف بنا اليوم!!.

يقول عديّ بن حاتم لما نزل قوله تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾**

(١) الكشاف ٣٣٨/١.

عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فضحك وقال: "إن كان وسادك لعريضا" وروي: (إنك لعريض القفا، إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل)[1].

وهذا يؤكد إعجاز القرآن، وأنه نص سماوي، وأن أسرار لا تدرك بسهولة هذا الكلام بالنسبة للعرب الخلص، فكيف بغير الغرب من المستشرقين؟ أين هم من دراسة السياق البلاغي، والمقام .

لقد قرر "جاكوبسن" أن القرآن لا يمكن ترجمته، ولكن من الممكن القيام بنقل خلاق للمعاني، وأن النقل باللغة العادية يضر ببنيتها، ويضيع جمالها وجاذبيتها، فضلا عن ضياع الفكرة، وغياب المضمون[2].

ونقل البنية الفنية في القرآن إلى لغة أخرى من المستحيلات، كما يقول ابن فارس: وَقَدْ قال بعضُ علمائنا حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إِلَى الحَبشية والرُّومية وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله ﷻ بالعربية؛ لأن العجم لَمْ تتَّسع فِي المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقُل قوله جلّ ثناؤه: ﴿**وإما تخافَنَّ مِن قوم خِيانةً فانْبذْ إليهم عَلَى سواء**﴾ [الأنفال:٥٨] لَمْ تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدّية عن المعنى الَّذِي أَوْدِعَتْه حَتَّى تبسُط مجموعها وتصِل مقطوعها وتُظهر مستورها فتقول: "إن كَانَ بَيْنَك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنّك قَدْ نقضت مَا شرطته لهم وآذِنْهم بالحرب لتكون أنت وهم فِي العلم بالنقض عَلَى استواء" وكذلك قوله جلّ ثناؤه: "فضربنا عَلَى آذانهم فِي الكهف" [الكهف:١١].

(١) الكشاف ٢٣١/١.

(٢) ينظر: بلاغة النور لنفيد كرماني ص٢٠٠.

فإن قال قائل: فهل يوجد فِي سنن العرب ونظومها مَا يجري هَذَا المجرى؟ قيل لَهُ: إن كلام الله جلّ ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أَوْ يُقابل أَوْ يعارض بِهِ كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العليّ الأعلى خالق كلّ لغة ولسان، لكنّ الشعراء قَدْ يؤمنون إيماءَ ويأتون بالكلام الَّذِي لو أراد مُريد نقْلُه لاعْتاص وَمَا أمكن إلاَّ بمبسوطٍ من القول وكثير من اللفظ".[1]

ما يعني تفرد لغة العرب، ولغة القرآن بخصائص غير موجودة في أي لغة أخرى.

إن فهم الوحي يستلزم أن يكون بلغة القوم الذين أوحي إليهم، ولهذا ركز القرآن في مقامات على كونه بلسان عربي مبين[2].

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل على قوم هم أهل فصاحة وبلاغة وبيان، وهذه اللغة فيها الحقيقة والمجاز والتكثيف القائم على الإيجاز، والإطناب الذي يقوم على التفصيل والبسط في أمور الشريعة والأحكام، وكل من وجوه الخطاب مناسبة لمقاماتها ولا يدرك غير العرب الفصحاء.

(١) الصاحبي لابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، ص ١٧، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٢) ينظر: بلاغة النور لنفيد كرماني ص٢١٠.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الثالث

الانسجام بين ألفاظ القرآن وآياته وسوره

الانسجام، أو التناسب: هو سِرُّ البلاغة؛ وغاية النَّفَاسَة، وهذا العلم هو الذي يوقفك على مقاصد القرآن، ويكشف لك عن مدى التعانق بين كلماته وآياته وسوره.

وغايته تثبيت الإيمان في قلب المؤمن، ويتجلى ذلك بدراسة التركيب القرآني بمفرده، ودراسته في التحامه بسابقه ولاحقه.

وقد أجمع علماء الأمة على أن ترتيب الآيات توقيفي من رب العالمين، كما أن ترتيب السور كان في عهد النبي ﷺ، وثبت ذلك بأقوى الحجج وأصح البراهين.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت بتوقيف من الله تعالى، وإن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة" [1].

وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن يزيدوا أو ينقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ ... وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعى

---

(1) الإتقان ١ / ١٧١. والبرهان للزركشي ١/ ٢٦٠.

الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة. وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة. (١)

فترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه في المصحف.

يقول السيوطي: "وما يدل على أنه توفيقي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بـ "طس" مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص، والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توفيقي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك(٢).

وهذا الترتيب التوقيفي توافر فيه التناسب والانسجام ، وما قام به نولدكه من دراسة تاريخ القرآن وفق ترتيب النزول يُخرج النص عن قداسته، ويفقده التناسب الذي رتب القرآن في ضوئه.

وقد غالى كثير من المستشرقين حول فقدان القرآن للوحدة والتناسق والترابط بين العناصر السورة، فهم يروا القرآن عبارة عن أشتات من الأفكار المتنوعة، عولجت بطريقة غير منظمة، ودون أي ربط منطقي بينها، وأن فقدان الترابط مسؤولية الصحابة الذين جمعوا القرآن وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور(٣).

---

(١) السابق.

(٢) الإتقان ١/ ١٧٣.

(٣) ينظر: مدخل إلى القرآن ص ١١٨. ١١٩.

لقد وافق رودي باروت صاحب كتاب: "محمد والقرآن"، مع نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن، وتبعهم (شيفالي) في كتابه "تاريخ القرآن" أن النص القرآني يدرس في ضوء علم اللغة العام والنقد التاريخي، وقد أخضعوا القرآن للترتيب التاريخي بحسب النزول، فضلا عن دراسة البيئة وتأثيرها على القرآن خاصة في دراسة المكي والمدني، وربطوا فهم القرآن بالتحليل النفسي والاجتماعي، للنبي محمد ﷺ إيمانا منهم أنه من تأليفه، وليس غيبيا موحى إليه(١).

فكل من المنهج النقدي التاريخي، وعلم النفس، والفيلوجيا لا يمكن تطبيقها على النص القرآني، لأنه نص غيبي مقدس، وهؤلاء المستشرقون لا يثبتون الوحي ولا يعترفون به.

وأن ما قاموا من ترتيب الآيات وفق ترتيب النزول، يفقدها التناسب والتناسق بين آي القرآن وسوره، فكل جزء من آيات القرآن خرج متناسقا تماما مع سابقه ولاحقه، وأن الصحابة رضوان الله عليهم، كانت وظيفتهم الكتابة فقط ولم يتدخلوا في شيء مثل الترتيب أو إعادة التنسيق كما يدعي نولدكه ومن وافقه.

لقد افتعل المستشرقون بتغيير ترتيب القرآن مشكلة غريبة على المسلمين، وأقبلوا على عمل مخالف لما انتهى النص القرآني بأمر من النبي ﷺ حيث أمرهم بوضع كل آية في مكانها من السورة، ثم رتبت سور القرآن بعلم من النبي ﷺ.

وفي تغيير الترتيب تجاهل لخاصية النظم، وفقد الترابط بين عناصره، وانفكاك لأسلوب التأليف المتفرد في صياغة الألفاظ والجمل والتركيب، وطرائق الأداء، وقوة التلاحم بين الألفاظ والمعاني.

---

(١) ينظر الرابط:

http://www.alukah.net/translations/0/28424/#ixzz4Yscs55qb

والذي يكرره نولدكه وما وافقه أن ترتيب القرآن وتنسيقه صنعه محمد ﷺ فيقول: "ولعل الآيات من ٨-١١ من سورة البروج إضافة متأخرة، ربما قام بها محمد نفسه "[١].

وتتمثل بلاغة القرآن في ترتيبه، وحسن تأليفه، وبراعة نظمه، وصحة معانيه، وانسجام ألفاظه وتواليها بالصورة التي حُفظت عليها.

ويتجلى التناسب واضحا بين أي القرآن وألفاظه وسوره، ومن دقيق التناسب أن ترى ارتباط فاصلة الآية بمضمونها العام، وهو ما يسمى "بتشابه الأطراف" أو "مراعاة النظير"، ومن ذلك الترابط بين الفاصلة وآيتها في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [الحج:٦٤] انتهاء الآية بقوله " الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فيه دلالة على أن الله غني عن عباده، فإذا حمده المنعم عليه جوزي عليه من المنعم.

وهناك التناسب بين مفردات الآية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً**﴾ [الفرقان:٢٧. ٢٨].

التعبير في أول الآية "يعض" من فرائد القرآن المجسدة للدلالة المقصودة وهو الكناية عن الندم والتحسر، وقد ناسب لفظ العض مع قوله تعالى: "يا ليتني" إذ الحسرة تبعث على التمني المشوب بالفوات والندم عليه، وقد القرآن هذا المعنى بالآية الثانية.

فالعض حركة انفعالية يحدثها الندم، والندم يحدث في النفس تأوهات وتحسرات وويلات؛ ولذا نلحظ تناغم المفردات المعبرة عن المعنى المقصود، فالنفس الإنسانية تحاسب نفسها بنفسها، فتعض على اليد، وتتمنى أن لو عدلت عن ارتكاب ما تحاسبه عليه[٢].

---

(١) تاريخ القرآن ص٨٧.

(٢) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن عمر السلامي ص١٦٩، منشورات عبد الكريم بتونس ١٩٨٠م. بتصرف.

لكن المشهد في عمومه وما يحمله من صورة الحركة الحسية والحركة النفسية يعبر عن معنى الندم في يوم لا ينفع فيه الندم، وكأن القرآن يقدم نصيحة غالية لمن يعيثون في الأرض فسادا وهم في الدنيا، حتى لا يكون مصيرهم في الآخرة على هذه الصورة وتلك الحالة، فالآية إرشاد وتوجيه ونصح.

كما ترى تناسبا من نوع آخر وهو التعانق بين أوائل السور وخواتيمها، وتجد الأواصر قوية بين خاتمة السور وموضوعاتها المختلفة، يقول أبو حيان: " تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة، وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذاً في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلاً، ثم يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً"(١).

وقد عنى علماء التفسير وبلاغة القرآن ببيان العلائق بين أوائل السور وخواتيمها ومنهم: الرازي، وأبو حيان، والبقاعي، والسيوطي، وابن عاشور وغيرهم.

وقد شهد نولدكه في بعض المواضع من كتابه "تاريخ القرآن" بهذا فقال: "إذا قرأنا القرآن بتجرد اكتشفنا أن العديد من الآيات التي نزلت دفعة واحدة وافرة جدا بلا شك"(٢).

وقال أيضا في نفس الموضع: "إن خطاب القرآن يقفز على العموم كثيرا من موضوع إلى آخر إلى درجة أن ترابط المعاني بعضعها ببعض لا يتجلى دائما للعيان، مال يجعل المرء عرضة لخطر الفصل بين ما هو متصل"(٣).

(١) تفسير البحر المحيط ٣ / ١٢٢.
(٢) تاريخ القرآن ٢٨/١.
(٣) تاريخ القرآن ٢٨/١.

لكننا نلمح اللمز منه أيضا فنراه يقول: "... بعض السور منسق تنسيقاً حسنا وليست له فقط بداية جيدة، بل أيضا خاتمة مناسبة".

وهذا كلام باطل، ناتج عن إيمان المؤلف ببشرية القرآن رغم أن القرآن أكد في أكثر من موطن على أنه وحي من الله، قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم:١. ٥].

فالتناسب والتناسق بين كل آيات القرآن وسوره، وليس في سور دون سور، أو آيات دون آيات، كما يدعي هذا المستشرق. فكله كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

وفي القرآن نرى التلاحم والتعاون بين العقل والعاطفة، فضلا عن الموسيقى الخالدة التي تعلو هذا الأسلوب المتنوع، كما نرى التعاون دائما في جميع الموضوعات التي يتناوله، وتسعى الآيات بقوة وتجمع بقوة في نفس الوقت بين التعليم والإقناع والتأثير، وتمنح القلب والعقل نصيبه المنشود(١).

ورغم وضوح التناسب بين آي القرآن وكلماته يشكك نولدكه في ذلك فيقول: "يبرز الاضطراب التواق فوراً في الآيات القصيرة لسورة القارعة"(٢).

أي اضطراب لاحظه هذا المستشرق، ليته كشف عن موطنه ؟!! أما أن يذكر كلاما مرسلا دون دليل فهذا غير مقبول، ولا عجب في اتهام هؤلاء للقرآن فهم لا يدركون الحس العربي، ولا يستطيعون الوقوف على التناسب بين آي القرآن وسوره.

---

(١) ينظر: مدخل القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن د. محمد عبد الله دراز ص١١٧.

(٢) تاريخ القرآن ص٨٩

السورة تتحدث عن هول يوم القيامة، وحال الناس فيه، والتغير المفاجئ الذي يحدث في الكون، وما يحدث في الجبال الرواسي فإذا بها تتحول إلى لا شيء رغم صلابتها ورسوخها فكيف بالبشر؟!

ولما كان الحساب يعقب يوم القيامة صورت السورة موقف الناس في المحشر فمن آمن عيشته راضيه، وسعيد بعدل الله ورحمته، ومن ضل الطريق واتبع سبيل الشيطان كان مصيره النار وبئس المصير، وكشفت الصورة عن مصير كل منهما بحسب ما قدموه في الدنيا، ولا يظلم ربك أحدا.

إنك تقرأ السورة فتدرك الانسجام والتناسب في ألفاظها وجملها وموضوعها ومقصدها.

المبحث الرابع

الإيقاع بالتكرار- والصيغة- والجرس والحركة

انتقد نولدكه تكرار بعض الألفاظ والجمل في القصص القرآني، بدعوى أنها لا تضيف معانى جديدة، ولا مسوغ لها في رأيه، فضلا عن انتقال القرآن في خطاباته من صيغة إلى أخرى، ومن حال إلى حال(١).

وليس هذا بمستغرب على (نولدكه)، فلغة القرآن لا يدرك أسرارها، وترابط ألفاظها، ومناسبتها للمقام سوى أهل العربية الفصحاء، الذين يعايشون اللغة العربية ليل نهار، أما كثير من المستشرقين فليسوا بعرب فأنَّى لهم أن يدركون بلاغة ألفاظ وأسررها ...؟!

أما عن الإيقاع فيعني ثبوت الشيء وبقاء أثره في نفسي المتلقي، والإيقاع يكون بالتكرار كما في قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ**﴾ [الفجر: ٢١. ٢٥].

معنى "دكا دكا "أي: دكا بعد دك: "أي كرر عليها الدك حتى عادت هباءً منثورا"(٢)، ودل التكرار بصيغته وجرسه على التحول من العمار إلى الخراب.

وتلحظ التوافق التام بين الإيقاع الصوتي المتكرر، والموقف أو المقام، فضلا عن تنوع الإيقاع، فتجد الإيقاع القوي المتتابع في قوله تعالى: " دَكًّا دَكًّا"، "صَفًّا صَفًّا"، "وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ"، ثم يتبعه هدوء الإيقاع، والهزيمة النكراء، والحزن على ما فات في موقف لا يجدي فيه الخنوع ولا الحسرة:

---

(١) تاريخ القرآن ١/ ٤٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٧٤١.

"يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي". لقد تلاءم الإيقاع المجسد للإحساس مع المقام، وهذا لا يوجد إلا بديع نظم القرآن.

واللفظة في القرآن بصيغتها وجرسها تسهم في تقريب المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [الأنبياء:١١]، يوضح الزمخشري دلالة "قصمْنا" في السياق: "وكم قصمنا من قرية" واردة عن غضب شديد، منادية على غضب شديد، ومنادية على سخط عظيم ،لأن القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم"[١].

فكلمة "قصمنا" بجرسها وثقل نطقها توحي بالدمار والفناء بقوة وسرعة، ويدل السياق على أن الهلاك كان نتيجة حتمية للظلم، والانحراف عن منهج الله تعالى.

وقد تتعانق الصيغة مع الجرس والحركة في اللفظة القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا**﴾ [الطور:١٣] لفظة "يدعون" بجرسها وشدتها تجسد حركة الدفع الشديد مع الاضطراب، يقول الزمخشري: "والدع": الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النار يفلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونها إلى النار دفعا على وجوههم، وزخا في أقفيتهم"[٢].

إنه الهول الشديد المصحوب بالخزي والعار والمهانة، وبناء الفعل للمجهول، يشير إلى من يقوم بالدفع إلى جهنم بعنف، إنهم زبانية جهنم يزجون بهؤلاء المكذبين المعاندين، ويدل المفعول المطلق "دعا" يؤكد على دلالة اللفظة على القوة في الدفع إلى الجهنم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٠٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٧٤١.

وتعكس لفظة "نزعنا" الصورة الحركية المعبرة عن الإزالة والقلع بقوة، مما يترتب عليه الإزالة الكاملة.

كما أن لفظ: "غل" توحي في ارتباطها بنفس الإنسان في الدنيا، أما في الآخرة لدى من أنعم الله عليهم بدخول الجنة فلا تجد غلا مطلقا؛ حيث اقتلع من جذوره، وانمحى أثره تماماً.

وتلحظ تعانق الصيغة مع المعنى بارزة في ألفاظ القرآن وآيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾ [يوسف:٢٠].

(وَشَرَوْهُ . دَرَاهِمَ . الزَّاهِدِينَ) الألفاظ منتقاه بعناية فائقة، ملائمة للحال والمقام، قوله "وَشَرَوْهُ" الضمير إما يعود للإخوة فيكون بمعنى باعوه، وإما الرفقة من إخوته، فيكون بمعنى اشتروه.

قوله: "دراهم" موصوفة بأنها "مَّعْدُودَةً " للدلالة على قلتها، وهي ما يمكن عدها أما الكثيرة فيمتنع عدها لكثرتها وعبر بـ "الزاهدين"؛ لأن الزاهد هو من يرغب عما في يده لقلته، فيبيعه بما طف من الثمن؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بكم باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أوّل مساوم بأوكس الثمن(١).

وهؤلاء حاولوا التخلص منه بسرعة حتى لا يتهموا باسترقاقه دون سند يذكر.

وصوغ الإخبار عن زهادتهم فيه بصيغة "من الزاهدين" أشد مبالغة مما لو أخبر لكانوا فيه زاهدين، لأن جعلهم من فريق زاهدين ينبىء بأنهم جَروا في زهدهم في أمثاله على سنَن أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون قدر نفائس الأمور"(٢).

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٥٣.

(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ٤١/١٢، مؤسسة التاريخ بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

وتلحظ بلاغة اختيار الصيغة المضارعية وملاءمتها للتعبير عن المقصد في قول تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٤٤].

الفعل المضارع "تَأْمُرُونَ . تَنسَوْنَ . تَتْلُونَ . تَعْقِلُونَ" المتوالي يدل على تصعيد المعنى بداية من الاستفهام التقرير، وانتهاء بالاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفعل يدل بصيغته على الاستمرار في هذا الصنيع ولهذا كالهم القرآن بالتقريع والتبكيت.

فالصيغة كما ترى ناسبت المقام، ولو عدل أغير فيها لضاع المعنى، وغاب المقصود.

الفصل الثالث

الفاصلة القرآنية وأثر القرآن على المتلقي

المبحث الأول

تناسب الفاصلة لآي الذكر الحكيم

تعددت تعريفات الفاصلة فهي عند بعضهم: "حروف متشابهة في المقاطع تُوجب حسن إفهام المعنى"(١)، وعند الآخرين: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع (٢) فروي القصيدة يتوالى ويتكرّر حتّى نهايتها، والسجع يتوالى ويتكرر في آخر الجمل النثرية كالفاصلة في نهاية الآية، لكنّ السجع والفاصلة قد يتكرّر فيهما الحرف الملتزم وقد لا يتكرّر فلكلّ نوع من هذه الأنواع مصطلح اختصّ به(٣).

والفاصلة هي: الكلمة الأخيرة في النثر، سواء اتفقت في الحرف الأخير مع الجملة التي سبقتها أو لحقتها أم لم تتفق؛ وسميت بذلك لانفصال الكلام عندها، أي: انقطع ليستأنف بعد ذلك في مقطع آخر، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام، وبهذا ينفصل القرآن عن سائر الكلام وتسمى فواصل لا أسجاعا حيث يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه بخلاف الفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها(٤).

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُمَّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني حقّقها وعلّق عليها : د. محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله أحمد، ص٩٧ ط ٣،دار المعارف بمصر، ١٩٦٧ م .

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٥٣ دار المعرفة – بيروت١٣٩١ هـ.

(٣) الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها، أ.د .زاهد غازي زاهد جامعة بغداد، مجلة المصباح، ع١، ص ١٣٧، ١٤٣٤هـ ٢٠١٠م.

(٤) ينظر: البرهان ١/ ٥٤، ودراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية د. عبد الجواد محمد طبق ص٧٦، دار الأرقم بالزقازيق مصر الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

وتحمد الفاصلة القرآنية لاقتضائها المقام، واستدعائها التناسب، وهذا ما جاء في النص القرآني كله، فلا تجد فيه فاصلة قلقة، أو جاءت لغير معنى.

أي أنك تلاحظ في جملة النص القرآن دلالة الفاصلة على تمام المعنى مع حلاوة النغم، وجمالية الجرس، فإذا ما حسُن أداءها أثرت في المتلقي فتابع السماع، كما أن الدلالة والمقام تستدعيان الفاصلة المناسبة والمختارة بعناية.

وذكر بعض الباحثين وظائف الفاصلة منها:

١ـ الوظيفة الإيقاعية، فهي بمثابة القفل الإيقاعي للآية، وهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ المرتل للقرآن الكريم.

٢ـ مناسبتها لمعنى الآية وإتمامها لذلك المعنى فكأن المقام استدعائها، وإلا اختل المعنى أو اضطرب فهم المتلقي؛ لعدم وجودها، أو تأخرها عن موضعها.

٣. أنها مجيئها أضاف للمعنى العام ولولاها لم يتم المعنى(١).

وجملة الأمر أن الفاصلة يستدعيها المعنى أولا أي التناسب بين الفاصلة والآية من حيث المعنى والمقام والسياق، ثم يليها حسن الجرس، وجمالية الصوت والنغم.

وفي المقابل نجد (نولدكه) يذكر أن للفواصل التي تظهر في خواتم الآيات من بعض السور تأثيرا في تقييد حركة النبي في التعبير، فلربما ألجأته القافية إلى ألفاظ غير مرادة له على حقيقتها، ولولا القافية ما كانت هناك ضرورة إلى استعمالها: يقول(نولدكه) "تأثير الفاصلة على خطاب القرآن ليس بلا أهمية من أجل الفاصلة يتبدل أحيانا شكل الكلمات المعتادة وحتى معناها،

(١) الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها، أ.د/ زاهد غازي زاهد، جامعة بغداد، ع١، ص١٣٧، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

فحين تتكلم سورة الرحمن عن جنتين سماويتين (الآية:٤٦) مع عينين (الآية:٥٠)، وزوجين من الفاكهة (الآية:٥٢)، وجنتين مماثلتين (الآية:٦٢) نرى بوضوح أن استعمال المثنى هنا إنما هو من أجل الفاصلة فقط"[١].

وأما قوله بأنه لا يوجد أي تأثير للفاصلة، وأن تبدل شكل الكلمات لا يحمل كبير فائدة، مستشهدا على ذلك بما ورد في سورة الرحمن من تشابه الفاصلة في المثنى، من أجل الفاصلة مع غياب المعنى، وهذا محض افتراء وغياب إدراك لقرينة الحال التي بنيت عليها السورة، فحديث القرآن عن الجنتين السماويتين في (الآية:٤٦) جاء بصيغة المثنى والمراد به الجمع بقصد المبالغة والإفهام؛ لأنها جنان متكررة وكثيرة، أو أن التثنية تدل على أن لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني، ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل[٢].

وذكر الفاصلة بالتثنية مع العينين في الآية (الآية:٥٠)، فجاءت تابعة للعينين، والمراد بالتثنية الكثرة. ومجئ زوجين مثناه في الآية:٥٢، لأن المراد بالزوج هنا النوع، والأنواع كثيرة، أو أن الفواكه بعضها يؤكل رطبا، وبعضها يؤكل يابساً، وفي(الآية:٦٢) بيان لاختلاف الجنان، فمن خاف ربه جنتان، ومن دونهم من أصحاب اليمين جنتان أخريان غيرهما. وفي هذا ترغيب في الطاعات بأنواعها لنيل الجزاء الأوفى، فليست التثنية في الآيات من أجل الفاصلة كما ادعى (نولدكه)، وإنما جاء الفاصلة لأجل المعنى، وجاء اللفظ تبعا لها.

إن صبغة التثنية المطردة في فواصل سورة الرحمن خاضعة للثنائية العقلية والوجدانية لدى الإنسان ذاته، فهو بين الفرح والترح، والإقبال والإحجام،

(١) تاريخ القرآن، تأليف: تيودور نولدكه تعديل فريديريش شفالي،٣٧/١، دار نشر جورج ألمز هيلد سهايم بنيويورك ٢٠٠٠.
(٢) ينظر الكشاف ٤/ ٣١٢.

وجاءت التراكيب القرآنية في السورة وفق هذا الثنائية، مع أسبقية الدلالات للألفاظ، والمعاني للأسجاع.

ويستشهد (نيولدكه) بشاهد آخر من القرآن ليؤكد كلامه السابق فيقول: "ولم يتم في سورة الحاقة الآية :١٧ اختيار العدد المستغرب "ثمانية" للملائكة الذين يحملون عرش الله، لو لم تكن "ثمانية" تلائم الفاصلة[١].

والحق أن اختيار العدد "ثمانية" أوفق للوجه الذي قبله؛ لأنه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة – وهو السبع – بواحدة إشارة إلى أنه أبلغ من عدة المبالغة؛ لأنه إشارة إلى أنك كلما بالغت زاد الأمر على مبالغتك بما هو أول العدد، وذلك إشارة إلى عدم الانتهاء والوقوف عند حد، وإلى ذلك يشير أيضاً أن للثمانية من الكسور النصف والربع والثمن، وذلك سبعة، والسبعة عدد جامع لجميع أنواع العدد الفرد والزوج وزوج الزوج وزوج الفرد، وكل ذلك إشارة إلى المبالغة في إظهار العظمة والكبرياء والعزة"[٢].

ويذكر (نولدكه) أن التأثر الحاصل من الفاصلة يتساوى مع البحر والقافية في الشكل الشعري وفق ترتيب البنية والأفكار، ولا يقل ذلك أهمية الأثر الذي مارسته الفاصلة على تأليف القرآن[٣].

من المعلوم أن الفاصلة بإيقاعها في النص القرآني تختلف عن الإيقاع في النص الشعري ففي النثر يكون الإيقاع متوازياً غير مطرد في المقاطع اللغوية، أما النص الشعري فيكون الإيقاع فيه متتابع المقاطع مطرد الإيقاع حتى يتألف الوزن الشعري ويختم البيت بكلمة القافية التي هي خاتمة للإيقاع الموزون في البيت، والحرف الملتزم المتكرر في قافية القصيدة يتوالى ويتكرر

(١) تاريخ القرآن ٣٨/١.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٤/٧.

(٣) تاريخ القرآن ٣٨/١.

حتى نهاية أبيات القصيدة، أما في الفاصلة فقد يتكرر فيها الحرف الملتزم وقد لا يتكرر (١).

فضلا عن دلالة الفاصلة في القرآن الكريم والقافية في الشعر، وأن الأول من كلام رب العالمين، والثاني من كلام البشر فكيف يساوي بينهما؟!!

وأخيرا ينهي (نولدكه) كلامه عن هذه الجزئية بقوله: "...على المرء أن يترك المجال مفتوحا دائما الإمكانية أن تكون قطع متفرقة، لها الفاصلة نفسها، جمعت لاحقا على يد محمد أو من قام بتحرير النص، وربما ضم النبي فيما بعد عن قصد إلى فاصلة مقطع، نزل من قبل ما يكمله(٢).

إن هذا المستشرق وغيره يصرون على أن القرآن بشري، وأن الفاصلة تعوق انسيابية التعبير عند النبي محمد ﷺ، وهذا محض افتراء وكذب، فالقرآن كلام الله تعالي وليس بشريا كما يدعي (نولدكه) ومن على شاكلته من أمثال غوستاف، ولوبون، ونلسون.

ومن الأدلة التي تؤكد أن القرآن وحي من الله قوله سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحاقة:٤٠]

يقول ابن خلدون: "ويدلك على هذا كله أن القرآن من بين الكتب الإلهية إنما تلقاه نبينا محمد صلوات الله عليه متلو كما هو بكلماته وتراكيبه خلافا للتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، فإن الأنبياء يتلقونها في

(١) ينظر: الفاصلة القرآنية طبعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها، د. زاهد غازي زاهد، جامعة بغداد مجلة المصباح عدد ١/ ١٤٠، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

(٢) تاريخ القرآن ٣٨/١.

حالة الوحي معاني، ويعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية بكلامهم المعاد لهم، ولذلك لم يكن فيها إعجاز"[١].

ومن صور امتداد المزاعم يذكر هذا المستشرق أن النبي كان يختار الفواصل بما يتلاءم مع المقاطع، وأن يكرر الفاصلة كانت لمقطع آخر من قبل.

مما سبق يؤكد اتفاق الفاصلة في القرآن مع المقاطع، وهي في أعلى درجات البلاغة، وأن المعاني هي المقصد الأول لاستدعائها، وتبعتها الألفاظ بجمال جرسها، وحسن نغمها، وانسجام موسيقيتها، وهذا ما يحث التأثير عند سماع القرآن، ويبقى التأكيد على "أن جرس المقاطع والحروف والكلمات والجمل، والفواصل وأبعادها، كل هذا فيه إعجاز للعرب عن أن يأتوا بمثلها"[٢].

كما أن القرآن معجز للعرب ولغير العرب بنغمه وجرسه الموسيقي، فضلا عن شرائعه والعلم المبثوث، وبنائه اللغوي، وأنه من أمي لا يقرأ ولا يكتب، ونشأ في بلد أمي كل هذا يؤكد أنه من عند الله تعالى[٣].

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣٦٧، طبعة ١٩٣٠م.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن الكريم الإمام محمد أبو زهرة ص ٢٢٢، دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٠م.

(٣) ينظر: السابق ص ٢٢٣. بتصرف.

المبحث الثاني
تناسق الفاصلة

يلاحظ في القرآن تناسق الفواصل من حيث البنية التركيبية، حيث تتفق الكلمتان الأخيرتان في عدد الحروف مع اختلاف الحرف الأخير في الآيات المتتالية، كما في قوله: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾ [الجن:٦. ١٠] يلاحظ تناسق الفاصلة في الوزن (رَهَقًا . أَحَدًا . وَشُهُبًا. رَصَدًا. رَشَدًا) فجاءت الفاصلة في الآية الأولى والثانية والرابعة والخامسة على وزن (فَعَل) وأعقبتها المدة الطولية، وجاءت فاصلة الآية الثالثة على وزن (فُعُلَ) وأعقبتها المدة الطويلة أيضاً.

كما توفر التناسق المعنوي أيضا فالمشركون عبدوا الجن اتقاء شرها ، فجاءت النتيجة خلاف ما اعتقدوه، فقد زادتهم عبادتهم إياهم ضلالاً وإثما. وجاء التعبير بتأبيد النفي للدلالة جزمهم بعدم البعث.

وهاهم المشركون يعتقدون في قوة الجن على استراق السمع، والعلم بالغيب، وإذا بالملائكة تصدهم عن هذا الاستراق ورجمهم بالشهب، ثم يعترف بالانتكاسة والخذلان المبين، ويتساءلون أشر أريد بمن في الأرض، والجواب جاء في صيغة السؤال، أم أراد بهم ربهم رشدا.

ويكثر التناسق بين الفواصل وآياتها، بشكل متواز في قصار سور القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ**

اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١-١٥] يلاحظ أن الفاصلة جاءت في السورة كلها مطلقة قائمة على التماثل في المتواليات رغم تنوعها في الفعل فجاء بعضها ماضيا والآخر مضارعا، وهذا التنوع كسر للانتظام المطلق، مما كان له تأثيره على المتلقي، لكن الفاصلة في كل حالاتها انتهت بألف بعد الهاء.

وقد تعانقت الصورة الصوتية في الفاصلة مع القيمة المعنوية من حيث توكيد المعاني المصورة للكون وأحواله يوم القيامة، وجزاء قوم صالح عليه السلام الذين عصوه وكذبوه.

المبحث الثالث

تأثير القرآن في المتلقين

من خصوصية القرآن الكريم تأثيره في نفوس السامعين أو المتلقين سواء أكانوا مؤمنين أم غير مؤمنين، وكثير ممن كتب الله لهم الهداية كان بسبب تأثرهم بسماع القرآن، وهذا التأثير مستمر إلى يوم القيامة للإنس والجن، ومما يؤكد ما سبق ما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر:٢١]، وتأثير القرآن في النفوس السامعين يعد أحد وجوه إعجاز القرآن، والقرآن لا يترك نفساً إنسانية . أيا كانت . إلا ويتحدث معها عن ملكة من ملكاتها المتعددة، سواء أكانت فكرية عقلية، أم وجدانية عاطفية ... إلخ ويأخذ هذا التأثير أشكالا متباينة أحيانا، أو متسقة أحيانا أخرى، فتأثر المشركين والكافرين يكون غالبا نفورا وإعراضا، أو تغيرا في قسمات الوجه، ناتجا عن عجز داخلي مفاجئ، أو إلقاء للحج الواهية التي يقصدون بها التعجيز لقارئه، أو النيل من النص القرآني نفسه، وهذا موجود عند اليهود والمنافقين وكثير من المستشرقين ومن على شاكلتهم، وعند المنافقين يكون في صورة الخوف والحذر، وأما عند المؤمنين فتكون مظاهره رقة القلب، وانشراح الصدر، وإذراف الدمع، وعمق الإيمان(١).

(١) ينظر: الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم د. محمد عطا أحمد يوسف ص ٤٥. ٤٦، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت السنة الثالثة عشرة شعبان ١٤١٩هـ، العدد السادس والثلاثون ديسمبر ١٩٩٨م.

وتتأكد هذه المعاني من خلال الآيات، فالقرآن مصدر سعادة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:٢] تبين الآية الثانية من افتتاح سورة طه أن القرآن بما فيه من أوامر ونواه، وأحكام وتشريعات، جاء لإسعاد المؤمنين، وإزاحة الهموم التي تعترض طريقهم، وفي هذا دعوة للتفاؤل والاستمرار على الطاعة، والإنابة إلى الله دائما، ولا تحقق السعادة إلا بمراوضة النفس على الطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت:٣٥]، ومن مظاهر تأثير القرآن في نفوس أهل الإيمان عند سماع آياته القشعريرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] إنها حلاوة الإيمان التي حصلت في القلب من حلاوة القرآن، فانبعث منها زيادة الإيمان، والإخلاص في طاعة الرحمن، والتوجه إليه بالطاعة والدعاء، يقول صاحب الظلال: إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب قلب المؤمن حين يذكر الله في أمر أو نهي . في القرآن . فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره . هو . وذنبه ، فينبعث إلى العمل والطاعة "(١).

وإذا سمع أهل الإيمان القرآن لهجت ألسنتهم بذكره، وتركوا لذة النوم إلى لذة الطاعة التي هي أجل وأعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٦]، فالقرآن يحثهم على فعل الخيرات، والتزام الطاعات، ورفع أكف الضراعة إلى خالق السموات. إلى غير ذلك من مظاهر تأثر المؤمنين بسماع القرآن.

(١) في ظلال القرآن الأستاذ سيد قطب ٣/ ١٤٧٥.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: "لقد دفع القرآن العرب دفعا إلى الإيمان بسبب روعته وقوة بيانه...وقد تخطت روعته كل قدرات البشر"(١).

ويقول في موطن آخر: كانوا مع شركهم واستكراه نفوسهم لعدم الإقرار به ينجذبون إليه، ويريدون أن يسمعوه استطابة لما فيه لفظ ذي نغم يجذب، وعبارات مشرقة، ونظم منفرد أجمل من سمط اللالئ "(٢)

والإنسان بفطرته وفطنته إذا قرأ القرآن شعر بأنه آت من السماء، ينفذ إلى القلوب، ويبهر الأبصار، ولقد أدرك الكفار هذا التأثير في عهد الرسول. واختلفت أقوالهم في وصفه، فبعضه وصفه بالسحر، وبعضهم وصفه بأنه وحي(٣)، وتواصوا بعدم متابعة سماعه؛ خوفا من أن يتأثروا به، إلى غير ذلك من الصفات التي فصلها القرآن.

ورغم عناد نفر من المشركين للقرآن إلا أن أكثرهم أدرك معنى الإعجاز القرآني بيانيا ونغما ولفظا ونسقا فانجذبوا إليه انجذابا.

أما المستشرقون فكثير منهم أقر بتأثير القرآن في نفوس سامعيه، يقول دينيه: "إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معاني، يحدث مثل هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجملية؟ لقد لا يسمعون القرآن إلا وتمتلك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سمِّروا فيه(٤).

ويقول المستشرق الفرنسي "ريسلر" :"لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد أنزل ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه

(١) المعجزة الكبرى ص٦٤.
(٢) المعجزة الكبرى ص٥٦.
(٣) مدخل إلى القرآن ص١١٨.
(٤) قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل ص ٦٤، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأ في لغته التي كتب بها لتتمكن من تذوق جمله وقوته وسمو صياغته ويخلق نثره الموسيقي والمسجوع سحرا مؤثرا في النفس حيث تزخر الأفكار قوة، وتتوهج الصور نضارة. فلا يستطع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري، وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمد ﷺ كان ملهما بجلال الله وعظمته"(١).

لقد شهد هؤلاء بتأثير القرآن في نفوس السامعين حتى لو كانوا غير عرب وغير مسلمين، فماذا عن تأثيره في نفس العربي ؟!!

يقول المستشرق آرثر آربري: "عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي"(٢).

ويقول غوته: "إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة ...، وفي مواقع عديدة يبلغ قمة السمو حقا. فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي"(٣).

ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية". "القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة"(٤).

(١) السابق ص ٦٦.
(٢) نقلاً عن (حتى الملائكة تسأل) د.جيفري لانغ (٢٠٦) .
(٣) جوته والعلم العربي ص ٨٨.
(٤) (القرآن – دليل المسيحيين) د. بول شفارتسنا نقلاً عن (يوميات مسلم ألماني) د. مراد هوفمان ص٢٢.

الخاتمة

بعد انتهاء هذه الرحلة مع المستشرقين الألمان وموقفهم من إعجاز القرآن الكريم وبلاغته يمكن تسجيل أهم النتائج:

١- جل ما قاله المستشرقون الألمان حول القرآن كان مجافيا للصواب، ومنه بشرية القرآن أو اقتباسه أو تشابهه مع التوراة والإنجيل.

٢- ترتيب القرآن بحسب ترتيب النزول، يفقد خاصية التناسب والانسجام بين آياته وسوره، وفيه مخالفة لترتيب الآيات والسور التوقيفي، فيظن القارئ أن هذا قرآن جديد.

٣- الشطط في التوجيه القرآني بسبب الوقوف عند المعاني التخمينية دون تحليل أو فهم للغة العربية، ومنه تخرج الترجمة مشوهة، أو معاني يصعب ترجمة معانيها، أو اختصارها مما يضيع بهاء المعنى ومقصودة.

٤- اتسم معظم منهج المستشرقين بالتعسف وغياب الموضوعية، ووصفوا القرآن بأوصاف لا تتناسب معه.

٥- التأكيد على أن المصدر الوحيد من الله تعالى بلفظه ومعناه، وأن اختلاف القراءات القرآنية توقيفي لا تدخل فيه من أحد، وأن مهمة الصحابة اقتصرت على التلقي والنقل والكتابة بأمر من النبي محمد ﷺ.

٦- إبطال الشبهات التي آثارها المستشرقون الألمان حول القرآن وإعجازه وبلاغته بالحجج والأدلة العلمية، ومنها وضوح معاني القرآن للعامة والخاصة، وتمكن الفاصلة من موضعها، فلم تأت من أجل تميم الجرس كما ادعى نولدكه بل طلبها المعنى.

٧- وقوع نولدكه ومن وافقه في أخطاء علمية ومنهجية في دراسته للقرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ، وضلل العقل العربي لزمن طويل بشأن الإسلام والقرآن والنبوة، بقصد أو بغير قصد، وبعض أخطائه ناشئ عن جهله باللغة العربية وبعضها لعوامل أخرى لا تخفى.

٨- قدم عدد من المستشرقين الألمان دراسات رائعة حول القرآن والإسلام وتناولوها بتجرد وموضوعية، فأثبتوا الحقائق، واتسموا بالدقة والأمانة العلمية، وشهدوا للقرآن بما هو أهله، فهو عندهم وحي سماوي، واتسم أسلوبه بالبلاغة والتفرد، حتى أعجز العرب والعجم عن الإتيان بأقصر سورة منه، وقدموا للعربية دراسات رائدة، أتاحت إحياء العربية، وحافظوا على تراثنا الماجد من خلال حفظ المخطوطات وتحقيقاتها من أمثال د. لونفمان، ود. وجوته، وشمل، وجوهان جاكوب رايسكه، وغيرهم الكثير.

بينما وجد في الجانب الآخر اتسموا بالشطط في الحكم على الأمور، فاتهموا القرآن بالبشرية، وبالزيادة والتحريف، وشوهوا التراث وكالوا عليه التهم والأباطيل.

٩- كتب القرآن الكريم بأيدي الكتبة في عهد النبي ﷺ فضلا عن الحفاظ، وقد عصم القرآن الكريم من التحريف والتبديل أو الزيادة والنقصان، وهذا دليل إعجازه، ولم يأخذ القرآن من التوراة أو الإنجيل كما يدعي المستشرقون بل كتاب الله تعالى الموحي إلى نبيه بطريق جبريل عليه السلام.

١٠- القرآن الكريم لم يخرج على سنن العرب في كلامهم إفرادا وتركيبا في جملته وهذا هو مناط الإعجاز، ولا يقدر على الإقرار إلا العرب الخُلص، وهذا دليل الإعجاز، ومناط التفرد.

التوصيات

يوصي البحث بما يلي:

١- قيام مراكز وهيئات تتبنى ترجمات المستشرقين وفحصها، ورد الشبهات الواردة فيها بأسلوب علمي جاذب، وإنصاف من يقول الحق.

٢- حصر ترجمة معاني القرآن الكريم على هيئات متخصصة في هذا الجانب، وتكون تحت إشرافها.

٣- مراجعة الترجمات السابقة التي قام به المستشرقون عامة والألمان خاصة؛ للإفادة منها على الوجه الصحيح.

٤- تنمية وعي المستشرقين بأهمية ترجمة معاني القرآن عن طريق عقد مؤتمرات بشكل دوري في أكثر من قطر إسلامي وعربي.

٥- المزيد من إنشاء مراكز تهتم بتعليم اللغة العربية في الدول الغربية، وإنشاء كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وتوضيح معانيه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأساليب العربية في الأدب العربي أنيس المقدسي ص٦١، دار العلم للملايين بيروت ط ٥.
- الاستشراق المفهوم الأهداف الارتباط، د.علي بن إبراهيم النملة، بيسان، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
- الاستشراق بين الموضوعية والافتعال د/ قاسم السمرائي ٦٢، دار الرفاعي الرياض ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د. محمود زقزوق كتاب الأمة.
- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري د. عبد المتعال الجبري مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م الطبعة الأولى.
- أسرار القرآن الإمام محمد الخضر حسين، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء د. محمد عمارة،، دار الشروق القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.
- الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق د . عبد الرحمن عميرة.
- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة: مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١.
- إشكالية فهم النص القرآني في الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية دراسة نقدية تحليلية لنماذج مختارة د. أحمد صلاح البهنسي مجلة البحوث والدراسات القرآنية ع١٥ السنة العاشرة نوفمبر ٢٠١٤م.
- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم د. محمد عطا أحمد يوسف، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت السنة الثالثة عشرة شعبان

١٤١٩هـ، العدد السادس والثلاثون ديسمبر ١٩٩٨م.

- الإعجاز الفني في القرآن عمر السلامي نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم تونس ١٩٨٠م.
- إعجاز القرآن السيد محمد الحكيم، مطبعة دار التأليف، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م.
- افتراءات المستشرقين على الإسلام "عرض ونقد"، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- بحث في ترجمة القرآن وأحكامها للشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الأسبق، هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٢٣هـ.
- كتابة القرآن بالرسم الإملائي والحروف اللاتينية اقتراحان مرفوضان د. عبد الحي الفرماوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره بقلم المستشرق الإنجليزي هورسفيلد، لندن، ١٩٠٢م.
- البرت ديتريش: الدراسات العربية في ألمانيا، تطوّرها التأريخي ووضعها الحالي٧، جوتنجن / ١٩٦٢م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٥٣، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١هـ.
- بلاغة القرآن الإمام محمد الخضر حسين، ب. د.
- بلاغة النور جماليات النص القرآني نفيد كرماني، ترجمة محمد أحمد منصور وآخرين منشورات الجمل، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٩٤٧.
- تاريخ القرآن، تأليف: تيودور نولدكه تعديل فريديريش شفالي، دار نشر جورج ألمز هيلد سهايم بتيويورك ٢٠٠٠.

- تاريخ القرآن (أصل وتركيب سورة القرآن) بقلم المستشرق الألماني تيودر نولدكه (١٨٣٦ – ١٩٣٠م).
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: السيد صقر دار المعارف القاهرة.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ بيروت لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
- التطور النحوي للغة العربية محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية ١٩٢٩م، للمستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- تفصيل آيات القرآن الكريم، تأليف جول لابوم مع استدراك ادور مونتيه، الطبعة العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطّابي وعبدالقاهر الجرجاني.
- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية رودي بارت، ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الدراسات القرآنية في ألمانيا دوافعها وآثارها د. أحمد محمود هويدي، مجلة عالم الفكر الكويت م٣١ ع ٢ ديسمبر ٢٠٠٢م.
- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية د. عبد الجواد محمد طبق، دار الأرقم بالزقازيق مصر الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
- دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير، د. محمد الفاتح مرزوق دار الاعتصام سلسة شباب محمد ﷺ العدد (٢٤).
- دليل القرآن المستشرق الألماني ماليرر، الطبعة الثاني، باريس، ١٩٢٥م.
- رد البهتان عن إعراب آيات من القرآن الكريم، د. يوسف بن خلف بن محل العيساوي.
- دار ابن الجوزي دار البحوث العلمية المحكمة سلسلة ٢٩ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

- الصاحبي لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- صلة القرآن باليهودية والمسيحية د. فلهلم رودلف، ترجمة عصام الدين حفني ناصف، ص١٥٠، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤م.
- الظاهرة القرآنية، مالك بن بني ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر بيروت ١٩٦٨م.
- الفاصلة القرآنية طبعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها، د. زاهد غازي زاهد، جامعة بغداد مجلة المصباح عدد، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- القرآن نزوله، تدوينه ترجمته وتأثيره بلا شير نقله للعربية رضا سعادة دار الكتاب اللبناني ١٩٧٤م.
- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي د. محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات مصر ط الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- كتابة القرآن بالرسم الإملائي والحروف اللاتينية اقتراحان مرفوضان د. عبد الحي الفرماوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحي محمد ربيع، دار الوفاء مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، وتاريخ كتابة القرآن، د. محمد سالم محسن، ص١٢٨. ١٢٩.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للإمام محمود بن عمر الزمخشري دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ما بعد الاستشراق د. وائل غالي كتاب الهلال العدد ٦٨٣ شوال

١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله أحمد، ص٩٧ ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧ م.

- مدخل إلى الدراسات القرآنية د. محمد بلتاجي، مكتبة الشباب القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.
- مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن الدكتور محمد عبد الله دراز ١٩٨٩م. دار المعرفة الجامعية.
- المستشرقون لنجيب العقيقي، دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- المستشرقون والإسلام إبراهيم اللبان القاهرة مجلة الأزهر، ١٩٧٠م ملحق مجلة الأزهر.
- المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي حسن الخربوطلي الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- المستشرقون والدراسات القرآنية د. محمد علي الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان. ب. د.
- المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية د. علي بن إبراهيم النملة، بيسان، الطبعة الثالثة ١٤٣١هـ –٢٠١٠م.
- المستشرقون والقرآن، د. إسماعيل سالم عبد العال، الجزء الثاني، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة السنة العاشرة العدد:١٢٠، العام ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
- المستشرقون ودراسة القرآن، محمد صالح االبنداق، دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م.
- المعجزة الكبرى القرآن الكريم الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٠م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢٦٢/١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.

- المواهب الفتحية في علوم العربية الشيخ حمزة فتح الله ٨٦/٢، المطبعة الأميرية القاهرة الطبعة الأولى ١٣١٣هـ.
- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي الطبعة الرابعة بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٣م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د. محمد عبد الله دراز دار القلم الكويت، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- النصرانية واليهودية في القرآن، للمستشرق الألماني بومشتارك، نشر بمجلة الإسلام ١٩٢٧م.
- نظرات في القرآن الشيخ محمد الغزالي، مكتبة نهضة مصر الطبعة السادسة.
- نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن والرسالة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.